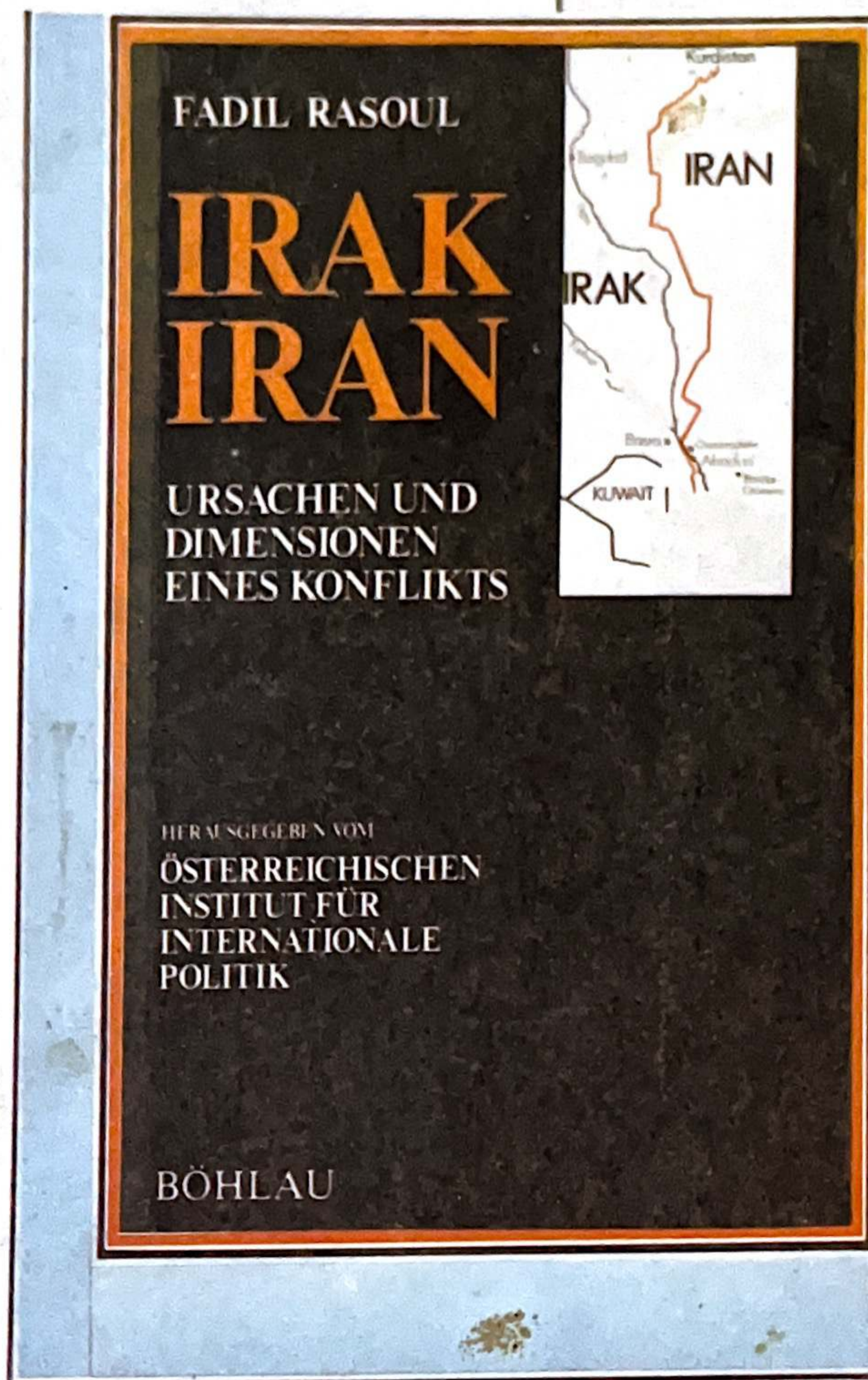


الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة (٧٩٨)



العراق - إيران ..

أسباب وأبعاد النزاع

الكاتب: فاضل رسول

العراق - ايران

أسباب وأبعاد النزاع

تأليف : « فاضل رسول »

صدر عن المعهد النمساوي

للسياسة الدولية

مقدمة

دخلت الحرب العراقية - الإيرانية عامها السادس دون أن تلوح في الأفق نهاية قريبة لهذا النزاع الدامي ، الذي وصفه أحد المراقبين بحق أنه أحد أهم النزاعات المسلحة التي نشبت منذ الحرب العالمية الثانية ، خاصة فيما يتعلق بحجم القوى البشرية والمادية والتكتيكية التي استخدمت في هذه الحرب وحجم الخسائر المادية والبشرية التي لا حصر لها .

وهذه الحرب شغلت مكانا ضخما في أجهزة الاعلام في كافة انحاء العالم ورغم هذا ، جات الدراسات التحليلية لهذا الموضوع نادرة . ويرجع ذلك في رايانا الى الافتراض الذي كان سائدا منذ بداية الحرب وهو انه في مثل هذه المنطقة الحيوية لا يمكن أن تستمر أى حرب لمدة طويلة . وانتظر العالم نهاية قريبة للحرب وضاع انتظاره سدى ، وعلق كل آماله على محاولات مجدية للوساطة .

ثم يدرك المراقبون والخبراء السياسيون أبعاد وعوامل هذه الحرب انراكا كافيا . فأوصاف مثل « الحرب المجنونة » (تقرير ميريب ١٢٥/١٢٦) ، « حرب بدون منتصر » (مؤسسة فريدرش ايبرت ١٩٨١) ، « حرب بدون منطق واضح » (روبين ١٩٨٣ ، ص ١٤١) أو « حرب التقديرات الخاطئة » (اقبال ١٩٨٥ ، ص ٩٨) - هذه الأوصاف جميعا لا تشير فقط الى الرقصر المعنوى لحرب مدمرة ، بل تشير أيضا الى عدم الفهم الكافي لأسباب الحرب ومجراها ، وطريقة التعبئة والمفاهيم الأيديولوجية للقوى المشتركة والمتورطة في هذا الصراع المعقد .

بل ان الأسباب التي تسوقها منشورات ومطبوعات الجانبين المتحاربين والموالين لهما ماثرة للبلبله والتضليل . فالرئيس العراقي صدام حسين يقول . « أن العراق يحارب نيابة عن تاريخ ومن أجل مستقبل الأمة العربية » . أما آية الله الخميني فيزعم « ان هذه الحرب انما هي بين الاسلام والكفر » (خوميني ، رسالة بتاريخ ١٩٨٠/٩/٢٤) . بينما وصف أحد المنشورات الموالية لايران الحرب بأنها صراع بين الاسلام والقومية زمزمى (١٩٨٥) ، في حين صورها الجانب الآخر على انها صراع بين القومية العربية والتوسع الايراني (رؤوف ١٩٨٣ ، فيرتسلى ١٩٨١) .

وترتكز هذه الدراسة على الافتراضات التالية :

١ - لا يجب فهم هذه الحرب بالمعنى المتعارف عليه على انها تعبير عن نزاع على الحدود بين دولتين متجاورتين . كما أنه لا يمكن تصور أن ابرام

اتفاقية جديدة للحدود سوف ينهى هذه الحرب ، مثلما حدث في تاريخ النزاعات على الحدود الذى استغرق قرونا طويلة بين الامبراطورية الايرانية والعثمانية ، ومثلما حدث في هذا القرن بين الدولتين الحديثتين (العراق وايران) وتدور الحرب الحالية تحت ظروف دولية واقليمية جديدة من جانب ، ومن جانب آخر في ظلال نهضة اسلامية جديدة في التاريخ الحديث لهذه الدول . انها واحدة من اصعب النزاعات في الشرق الاوسط اذا قورنت بالصراع العربى الاسرائيلى والحرب الاهلية اللبنانية المرتبطة بهذا الصراع .

٢ - كيف يبدو الآن الوضع الدولى الجديد الذى تشتعل الحرب في ظلاله ؟ مما لا شك فيه أن كل نزاع اقليمى ومحلى يرتبط بطريقة او باخرى بالنزاعات الدولية والاقليمية ذات الابعاد الواسعة بل يتأثر بموازين القوى بين الدول العظمى . وعلى أية حال اتسمت ثمانينيات قرننا بوضع دولى جديد ، نحاول توضيح معالمه الجوهرية وخاصة تلك التى تتعلق بدراستنا حول الحرب الايرانية العراقية .

(ا) تدويل الحروب المحلية ، أى تشابكها المعقد في شبكة العلاقات الدولية حيث أنه لا يمكن لأى نزاع أن يظل اقليمياً . فالدول الكبرى - وبخاصة الدولتان العظيمتان - متورطة بطريقة او باخرى في كل صراع محلى واطليمى وبذلك يصفون بعدا دوليا على أى من هذه النزاعات ، في نفس الوقت تصب الصراعات المحلية والاقليمية في استراتيجيات الدول العظمى .

(ب) بالرغم من تدخل الدول الكبرى وتورطها في النزاعات الاقليمية وتأثيرها على كيفية سيرها من خلال معونات الاسلحة وتأبيدها لاحد أطراف الصراع نجد أنها تعجز في معظم الأحيان عن انهاء هذه الصراعات . وانطلاقا من هذا السبب لا نتفق مع هؤلاء الذين يتوقعون نهاية للحرب العراقية الايرانية وكذلك العديد من الصراعات الاقليمية الاخرى عن طريق التوصل الى اتفاق سوفيتى امريكى على سبيل المثال . وسنتعرض في دراستنا التحليلية لضروب الفوضى في النظام الدولى التى نجمت عن هذه الصراعات .

(ج) ظهور القوى الاقليمية والمحلية (دول وحركات تحرير) التى تسند اليها دائما ادوار أكبر في العلاقات الدولية والصراعات الاقليمية . وحتى لو اغنبرت نفسها مربوطة بمحور احدى الدول العظمى ، فليس من الضروري ان تكون تابعة كلية لهذه الدولة ومحدودة في حرية قراراتها وحركتها . وستظل القوى المحلية والاقليمية - على مر الزمن ومع التركيب المتغير للدول العظمى - من أقوى شركاء في المحاور والتحالفات الدولية .

(د) تسعى بعض هذه القوى الاقليمية (دول تملك قدرات مادية وبشرية وثقافية ضخمة) الى نوع من السيطرة الاقليمية . وقد نشأت هذه الظاهرة (على الأقل في الشرق الاوسط) اثناء الستينيات فقط .

٣ - ولتفهم ظاهرة مثل الحرب العراقية الايرانية ، لا يتحتم تحليل الارتباطات الدولية فقط بل يتعين أيضا مراعاة بعض السمات الحضارية الأخرى والخصوصيات كالقومية العربية والاسلام . فكما غير ظهور القومية العربية في عهد ناصر في الستينيات الوضع السياسى للمنطقة ، جذريا ، وأدى الى اقامة تحالفات دولية وصراعات داخلية واقليمية ، يمكن النظر الى « نهضة » الاسلام على أنها تيار سياسى قوى وعامل مهم آخر في عدم استقرار المنطقة .

وهذه التيارات القومية العربية ، والاسلام ، تيارات وحدوية تسعى الى اقامة وحدات سياسية أكبر في المنطقة (وحدة العرب كقومية ، وتوحيد المسلمين في أمة واحدة) ، وبالرغم من ذلك كانت سببا في عدم الاستقرار ، وفي العديد من الصراعات العسكرية السياسية في المنطقة . ونحاول هنا دراسة هذه التيارات الاقليمية وغير الاقليمية في ضوء تأثيرها على الحرب العراقية الايرانية : ظواهر أخرى مشابهة .

٤ - ويقود هذا الى مجال آخر ، أى الى تحليل التركيب الحضارى السياسى للمنطقة التى نشأت فيها على مر تاريخها (فى عهد الخلافة والسدول الاسلامية المختلفة) وحدة سياسية حضارية عظيمة ، تجزأت بعد هزيمة الدولة العثمانية الى دول ودويلات صغيرة ، ولعل اوضح مثل على ذلك هو الاثنان وعشرون دولة عربية .

ولا يتجاوز عمر الدولة الحديثة في هذه المنطقة الستين عاما ، وهى غريبة عن تاريخ المنطقة وتقاليدها وأصولها . وقد أقيمت الدولة الحديثة على النمط الغربى ، على الرغم من اختلاف الظروف العامة والتطورات داخل البلاد المختلفة إلا أن هذه المحاولة لاقامة « دول حديثة بمؤسساتها القضائية والسياسية والحضارية باءت بالفشل الذريع . وكانت نتيجة هذا الفشل ظهور النهضة الاسلامية ، التى تسعى - من بين ما تسعى للعودة الى نظام الدولة الاسلامة ورفض « الدولة الحديثة » .

ولا يمكن أن يعزى ضعف الدولة الحديثة الى الاغتراب الثقافى بل لعل أهم سبب هو غياب القاعدة السياسية الثقافية الصلبة والراسخة والمسائل الخلافية والانتماءات في هذه الدول . وقد دخلت الدول الحديثة في محاولتها لاقامة وتثبيت انتماءات جديدة مصطنعة (الانتماء للدولة الحديثة ولشعبها) فى صراع مع الاقليات القومية والمذاهب والقبائل والطوائف . وكانت نتيجة هذه المساعي قبل وبعد الحرب العالمية ناجحة نسبيا ، إلا انها فشلت في الستينيات بسبب

ظهور الانتماءات الدينية والقومية . وأدى ذلك الى ضعف الكيان الهش للدولة الحديثة لدرجة أنه يمكننا القول بأن هذه المنطقة تدخل في مرحلة جديدة من مراحل تاريخها ، وهى مرحلة تتسم بالتفكك وإعادة التكوين . ولهذا يتعين دراسة الصراعات المحلية والاقليمية (مثل الحرب العراقية الايرانية) فى ضوء التوجهات المستقبلية لهذه الحركات .

وتعد كل من ايران والعراق نموذجا لمثل هذه الدولة العصرية التى قامت على العديد من المناقضات التى تهدد كيان الدولة وقد تؤدي تحت ظروف معينة الى انهيارها فهناك اقلية دينية (المسيحيين على سبيل المثال) وطائفية (كالشيعة) تعيش منفصلة فى كلا هذين البلدين . وقد أدت حركاتهم السياسية فى التاريخ الحديث للمنطقة الى هزات سياسية عنيفة ، ويتعين دراسة هذه الامور على ضوء الافتراضات التى سبق ذكرها (عملية التفكك وإعادة التكوين) . وفى قضيتنا هذه لا يتعين علينا تحليل هذه الحركات بوصفها عاملا اضافيا فى مسار هذه الحرب فقط بل ايضا تأثير الحرب على التوجهات المستقبلية لهذه الحركات .

٥ - ان دراسة الخلفيات التاريخية للحرب العراقية الايرانية امر لا مناص منه للوصول الى فهم أفضل لهذا النزاع ، فهناك بلا شك بعض الاسباب تختفى فى ثنايا التاريخ أدت الى التصعيد الحالى . فقد خاضت الامبراطوريتان (الفارسية والتركية العثمانية) حربا استغرقت قرونا طويلة من أجل ما بين النهرين ونظم عدد ضخم من الاتفاقيات الدولية علاقاتهما ومطالبهما الاقليمية . ولعبت الخلافات الطائفية وعوامل اخرى محلية دورا هاما هنا .

وواصلت الدولتان الحديثتان (العراق و ايران) هذا الصراع فى قرننا الحالى فى ظل ظروف جديدة . ولا يمكن أن تؤدي الخلفية التاريخية الى نتيجة خاطئة بحيث تصيب كثيرا من المراقبين بالارتباك وهى التى تقيّد بأن الحرب الحالية عبارة عن استمرار للنزاع التاريخى القديم أو انعكاس للصراع بين السنة والشيعة أو صراع بين الاسلام والقومية العربية . ومما لا ريب فيه أن الصراعات التاريخية السابقة والنزاع على الحدود ميراث أثقل كاهل العلاقات بين البلدين . كما أنه من المؤكد أيضا أن الخلافات الطائفية (شيعة وسنة) والصراعات الايديولوجية (الاسلام والقومية العربية) ما هى الا عناصر وعوامل للحرب الحالية . ومن المؤكد أن التاريخ لا يعيد نفسه وان هذا الصراع الحالى ليس استمرارا أو اطالة للتاريخ حتى لو كانت بعض جذوره توجد فى الماضى .

والحرب الفعلية تدور تحت ظروف دولية جديدة تم الاشارة اليها أعلاه . ويستحيل تقديم عرض لانفجار الحرب الحالية دون تشخيص هذا الوضع الاقليمى والدولى الجديد . ونحاول هنا تحليل مراحل الحرب والسلام بين كلتا الدولتين الحاربتين وتقديم تفسير لاسباب انفجار الصراع فى ظروف معينة واسباب

لعايش الدولتين تحت ظروف أخرى برغم مشكلات الحدود المستمرة ، ومدرستها على تشكيل محور اقليمى مشترك .

ومن المؤكد أيضا أن هيكل الدولتين الحاليتين العراق وايران مختلف عن بناء « الدول السابقة » . وهذه الحقيقة تضعف نظرية « استمرار الحرب » . ولا يمكن اعتبار الدولة العراقية العلمانية استمرارا للخلافة العثمانية السنية ، التى ادعت لنفسها الحق وفقا لمعايير اسلامية معينة ، فى حكم جميع البلدان الاسلامية . وعلى الجانب الآخر تختلف الجبهه — جبهه — العراقية الاسلامية عن النظام السابق من حيث نظامها السياسى وايدولوجيتها .

ومن ثم يمكن القول بأن بعض المفاهيم مثل « حرب القومية العربية ضد الغرب » أو « حرب الاسلام ضد الكفرة » ، التى كثيرا ما استغلت دعائيا ، لا يمكن أن تكون مفاهيم قاعدية يمكن الاعتماد عليها لاجراء تحليل حاد .

اننا نتخذ فى دراستنا أسلوب التحليل التاريخى . ولهذا نحاول ان نستعرض بجانب الخلفيات التاريخية أحداث الحرب وكيفية سيرها بايجاز شديد بقدر الامكان . ونقتصر فى عرض أحداث الحرب على الحد الأدنى اللازم للتحليل السياسى ، أما بالنسبة لمزيد من التفاصيل فاننا نشير الى دراسات صحفية ومصادر أخرى ظهرت فى العامين الاخيرين تحتوى على تفاصيل كافية عن الاحداث الاستراتيجية والعسكرية . وقد أعطى وزن كبير للخلفية التاريخية برغم التحذير من المبالغة فى أهمية هذا العامل الذى تم الاشارة اليه أعلاه . حيث ان هذه الخلفية التاريخية لم تدرس الدراسة الكافية من وجهة نظرنا ، وان الكتب دائما ما تتحيز لأحد الجانبين .

وقد خصصنا فى تحليلنا للسياسة الخارجية لكلتا الدولتين المتحاربتين فصلا كاملا للسياسة الخارجية الايرانية قبل وبعد اندلاع الحرب . وكان تحليل السياسة الخارجية الايرانية يحتل فى مشروع هذه الدراسة مكانا ضخما وكان العنوان : « السياسة الخارجية الايرانية والحرب العراقية الايرانية » . ومع ذلك فقد قررنا فى اطار هذا العمل اعطاء مزيد من الاهتمام للحرب والصراعات الاقليمية المرتبطة بها .

ويطيب لى فى هذا المكان أن أعرب عن شكرى للأصدقاء الذين ساعدونى فى ايجاز هذا العمل ، وعلى وجه الخصوص البروفيسور فالتر دوستال وكريستوف راينبرشت وريثاته فايشتاور ، فقد كانت ملاحظاتهم على أسلوب ومضمون هذا النص خير عون لى .

« فاضل رسول »

فيينا فى يونية ١٩٨٦

(١) ورثة التاريخ

يظل اندلاع الحرب ومسارها أمراً غير مفهوم بدون استعراض خلفياتها التاريخية . وتختلف طريقة تناولنا لهذا العمل تماماً عن بقية الأعمال الأخرى .

وتدعى كل من العراق وإيران حقوقاً تاريخية تعود إلى آلاف السنين . فبطناً لوجهة النظر العراقية ترجع جذور الدولة الحالية إلى البابليين وإلى الحضارة التي قامت فيما بين النهرين ، حيث بدأ تكوين أول وحدة رسمية أوقف استمرارها بسبب الغزوات العسكرية ، من بينها غزوات الفرس في فترات معينة (الراوى ١٩٨٣ ، ص ٤٥ - ٥٩) .

أما إيران . فتدعى لنفسها - خصوصاً في عهد أسرة الشاه - إمبراطورية تاريخية يرجع عمرها إلى ألفين وخمسمائة عام (انظر احسان الطبرى ١٩٧٧ ص ٩) ، حيث تمكنت الإمبراطورية الفارسية من السيطرة على ما بين النهرين في حقبات تاريخية معينة . واستناداً على هذه الرؤية التاريخية تطالب إيران بأجزاء من العراق وأغلب دول الخليج ، وعلى وجه الخصوص البحرين (١) .

ومنذ أسلمت المنطقة في عام ٦٣٠ كانت الدولتان الحاليتان (إيران والعراق) أجزاء من نفس الوحدة القانونية (الأمويين والعباسيين ٠٠ الخ) ، التي كانت تضم بين ثناياها دولاً وجماعات مختلفة متنافسة وكانت العناصر العربية والفارسية تتصارع باستمرار في عهد الخلفاء العباسيين ، وقد تجلى هذا الصراع في إنشاء المدارس الدينية والفلسفية وفي تكوين الجماعات السياسية وفي محاربة الخلافة وانعكس ذلك في أدب هذا العصر (كاهان ١٩٧٢ ص ١١٥ ، ص ١٤٤ - ١٤٦ ، انظر بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

واتخذ هذا الصراع اشكالاً جديدة في بداية القرن السادس عشر ، مع قيام الدولة الصفوية الفارسية الشيعية في عام ١٥٠١ . وقد انفجر الصراع بين الدولة العثمانية السنية والدولة الفارسية الشيعية منذ هذا الوقت للسيطرة على منطقة العراق الحالية . ونجح الجانبان في فترات معينة في إخضاع هذه المنطقة لسيطرتهم . ولكن من عام ١٦٣٩ وحتى الحرب العالمية الأولى تم تسوية

(١) لم يطالب البرلمان الإيراني بحقه التاريخي في البحرين إلا في عام ١٩٧٠ بعد أن أيدت اتجاهات معينة الثورة الإسلامية مرة أخرى . انظر في هذا الصدد صحيفة الاخبار الصادرة في ١٠/٤/١٩٨٠ وصحيفة الرأي العام الصادرة في ١٧ ، ١٩/٦/١٩٧٩ .

نزاعات الحدود والتوفيق بين المطالب الإقليمية وموازين القوى السائدة آنذاك . وكانت مشكلات الحدود والخلافات على السيادة على معر « شط العرب » المائي سبباً دائماً للنزاع فيما مضى وايضاً بين الدولتين الحديثتين إيران والعراق .

وبرغم التاريخ لا يمكن اعتبار النزاع الحالي استمراراً للنزاع العربي الإيراني قبل وبعد اضعاء الصبغة الإسلامية . وبالنسبة لتاريخ النزاع قبل وبعد اضعاء الصبغة الإسلامية فنود أن نستعرض الأفكار التالية :

(أ) تفيد النظرية المؤيدة للعراق بأن اندلاع الحرب إنما هو استئناف للنزاع العراقي الإيراني قبل ٢٥٠٠ عام (رؤوف ١٩٨٣ ص ١١) وأن النظام الإيراني الحالي خليفة لاتباع « زرادشت » الكفرة . ووقعت في عام ٢٥٠٠ و ٢٠٠٠ ق م معارك بين السومريين والاكاديين الذين كانوا يحكمون ما بين النهرين والقبائل التي تعيش في المنطقة الإيرانية الحالية ، وبين عام ٢٠٠٦ و ٩٣٣ ق م دخلت الشعوب التي تعيش فيما بين النهرين في معارك مع العيلاميين الذين كانوا يسيطرون على الشرق (على ١٩٨٣ ، رؤوف ١٩٨٣) . أما بعد اضمحلال حضارة ما بين النهرين فقد ظهر في العراق الحالي الساسانيون الذين كانت عاصمتهم « مدين » تقع في جنوب ما بين النهرين .

والبحث عن جذور النزاعات الحالية في هذه الصراعات القديمة مسألة تحتاج إلى تفكير عميق . لأن الدراسات التاريخية حول أصل ومصدر هذه الشعوب ليست وافية . وهناك أسطورة كان يستخدمها الشاه دائماً لتسمية جميع القبائل والاسر التي تعيش في إيران الحالية « فارسين » ، ولكن نتائج الأبحاث الحديثة لم تثبت صدق هذه الأسطورة حتى الآن . وطبقاً لرأي العلماء يمكن أن يكون (الميديون) الذين قضوا على الدولة الاشورية في العراق في عام ٦١٢ هم أسلاف الاكراد (خربك ١٩٧٢ ص ٥١٢ ، انظر سافراستيان ١٩٤٨ ، ص ١٠١ -) . أما بالنسبة لأصل الشعوب الأخرى فلا توجد سوى افتراضات متناقضة بعضها .

ولا يعرف شيء عن الفترة ما بين اختفاء الشعوب التي كانت تحكم ما بين النهرين والفترة التي سبقت انتشار الإسلام مباشرة . ولا يمكن اعتبار القبائل التي نشأت في العراق قبل انتشار الإسلام مباشرة خلفاء لشعوب ما بين النهرين القديمة ، ولكنها جاءت مع حركة الهجرة من شبه الجزيرة العربية (شكري ١٩٧٤ ص ٨٥ - ٩٨) . ويعتقد أن بقية الشعوب القديمة ذابت ، انصهرت في هذه القبائل .

(ب) وتفيد هذه النظرية بأن الحرب الحالية عبارة عن استئناف مباشر للنزاع بين المسلمين العرب والكفرة (الفارسيين الزرادشتين) عام ٦٣٧ . (انظر فيرتسلي ١٩٨١ ص ١٣-١٥) . ولذلك وصفت وسائل الاعلام العراقية الحرب الإيرانية

العراقية الحالية بانها « قادسية ثانية » ، تيمنا بالمعركة الحاسمة التي وقعت عام ٦٣٧ حول العاصمة الفارسية « مدين » . ولا تتفق هذه النظرية بأى حال من الأحوال مع الحقائق التاريخية ، حيث أن العلاقة بين الدولة الفارسية والقبائل العربية والأسر الحاكمة كانت خالية من الصراعات في أغلب الأوقات .

ويجدر ذكر أن الملك اليمنى « سنيويس » - يهودى - الذى كان يعترف بالسيادة الفارسية ، طلب معونة الاسطول الفارسى ضد المسيحيين الذين كانوا يهددون دولته (زمضى ١٩٨٥ ص ٢٠) وكان معظم أبناء قبائل لخم التي كانت تعيش مستقلة ذاتيا في منطقة العراق الحالية قبل انتشار الاسلام من المسيحيين الموالين للدولة الفارسية وساندوها في حروبها ضد المسلمين مثلما حدث في الحروب الساسقة ضد البيزنطيين . ولم تكن القوات المسلمة التي أخضعت الدولة الفارسية عام ٦٣٧ لسيطرتها تتكون من قبائل عراقية - كما يزعم دائما - بل من قبائل عربية كانت تعيش في قلب السلطة الاسلامية الفتية لشبه الجزيرة العربية (انظر شكرى ١٩٧٤ ص ٨٨) . ولا يمكن اعتبار الحكام الحاليين في ايران خلفاء للفارسيين الكفرة (انظر رؤوف ١٩٨٣ ص ١١ ف) . فهذا الرأي يفتقر الى الاسس التاريخية ويتعارض مع دور المؤسسة الدينية في التاريخ الحديث حيث كان نظام الشاه والتيارات العلمانية الحديثة يرون في الاسلام عائقا أمام اصفاء الطابيح الاوربى على البلاد ، ولذا كانوا يسعون دائما للتقليل من أهمية الاسلام في التاريخ الايرانى وكانوا يشيرون اليه على أنه غزو عربى وكانوا يستندون دائما على تاريخ ما قبل الاسلام (الطبرى الجزء الاول عام ١٩٧٧ ص ١٠٠) . وكانت المؤسسة الدينية على العكس من ذلك موالية للعرب وكانت تسعى لابرار الشخصية الاسلامية لايران . ومن هنا نتج الاهتمام باللغة العربية - من خلال القرآن - بعد الثورة الاسلامية ، واصبحت اللغة الثانية للتعليم في الجمهورية الجديدة (انظر الدستور الايرانى فقرة ١٦) . غير أن هذا لا يعنى أن تصوراتهم السياسية - خاصة استيلائهم على السلطة - خالية من عناصر قومية فارسية أو حتى ميول توسعية

(ج) دخلت العناصر العربية والايرانية في معارك دائمة بسبب الصراعات في الدول الاسلامية الكبرى وبخاصة بغداد . وكانت هذه المعارك ذات طبيعة معقدة تماما تكاد أن تكون قد انتقلت الى النزاع الحالى . وكانت هذه المعارك تنقسم الى ثلاثة مستويات : المستوى الأول عبارة عن صراع بين المسلمين العرب وغير المسلمين . أما المستوى الثانى فكان الصراع بين المركز والضواحي ، حيث يشكل هذا النوع من النزاع نوعا مميزا في تاريخ كل دولة عظمى . والمستوى الثالث كان عبارة عن صراع بين اقلية شيعية مضطهدة وأغلبية سنية مهيمنة . وغالبا ما كانت هذه الصراعات الثلاثة مستقلة عن بعضها ، غير أنها كانت تتداخل في بعضها من حين الى آخر . وسنحاول فيما يلى تناول مستويات الصراع بمزيد من التفصيل .

(١) تمكن الاسلام الذى خرج من شبه الجزيرة العربية من غزو الامبراطورية الفارسية وشمال افريقيا وأجزاء من المناطق التي كان يسيطر عليها البيزنطيون في غضون خمسين عاما . وسيطر المسلمون العرب على العراق وايران عام ٦٣٩ وعلى مصر عام ٦٤٢ وعلى تونس عام ٦٧٠ وعلى المغرب عام ٧١٠ واسبانيا عام ٧١٤ وعلى جزء كبير من فرنسا عام ٧٢٠ وعلى جزء من الصين عام ٧٥١ . وتكونت داخل هذه الدولة المتعددة الشعوب في اطار منهاج تاريخى خاص - امة اسلامية لا يحددها الانتماء لجنس أو قومية بل عقيدة مشتركة واحدة . وبالرغم من أن مفهوم « الصراع القومى » لا يصلح في هذا السياق (كاهان عام ١٩٧٢ ص ٧٨) نجد أنه قد حدث بالفعل صراعات داخل الامة الاسلامية الضخمة بين القبائل والشعوب المختلفة .

وكان التقليد السائد أن يكون الخليفة من قبيلة قريش العربية . وتمتع العرب وبخاصة في عهد الخلافة الاموية (٦٦١ - ٧٥٠) بالعديد من الامتيازات التي لا تستند على الشريعة الاسلامية أو النصوص القرآنية (انظر كاهان ١٩٧٢ ص ٦٣ ف) . وعلى الجانب الآخر كان الفرس والشعوب الاسلامية الاخرى يسعون الى المساواة والمشاركة في السلطة السياسية . وقام الفرس في عهد العباسيين الذين شهدت الامة الاسلامية أوج ازدهارها في حكمهم بدور عظيم مستندين في ذلك على تقليد حضارى طويل ، حتى أصبحوا منافسين أساسيين للعرب وبخاصة في بغداد عاصمة الخلافة (بروكلمان عام ١٩٧٧ ص ١٩٢) .

(ب) على الرغم من اعتناق المناطق التي تم غزوها للاسلام في وقت قصير نجد أنه سرعان ما نشب صراع بين الضاحية والمركز (أولا دمشق ثم بغداد) وأسباب ذلك متنوعة وذات طبيعة مختلفة . كالرغبة في مزيد من الحكم الذاتى والسخط على نظام الضريبة وأنشطة الشيعة وبعض الجماعات الدينية الاخرى التي تمكنت من فرض ارادتها على المناطق المتطرفة أو الهامشية ، وكذلك مساعى بعض الاسر المختلفة لاقامة مراكز سلطوية خاصة بها مع الاستمرار للولاء للاسلام في نفس الوقت (الطبرى الجزء الاول ١٩٧٠ ص ١١٣ - ١٢٣) . وقد أدى ذلك منذ القرن التاسع الى قيام عديد من مراكز السلطة المحلية وامارات فارسية وكردية وتركية وامارات أخرى كانت في الواقع مستقلة عن الخليفة في بغداد ولكنها تدين له بالولاء الجزئى . وسرعان ما تكونت في ايران تنظيمات مشابهة . وقد تمت الاطاحة الدائمة بالخلافة الاموية عن طريق العباسيين بسبب الثورة التي نشبت في خورسان ، في منطقة الدول الحديثة أفغانستان وايران (بروكلمان ١٩٧٧ ص ١٦٠) .

(ج) فقدت الشيعة - وهي المذهب الثاني بعد السنة الحاكمة - مقرونها في قلب الامة الاسلامية بعد هزيمة واغتيال امامها الثالث حسين و عام ٦٨٠ . واجبرت اعمال القهر الشيعة على الانسحاب الى المناطق المتطرفة التي أصبحت مناطق نفوذ جديدة لهم مثل ايران واليمن والبحرين الى حد ما مصر (بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٦٠ ف ف) . ومن هناك قامت الشيعة بالمقاومة وأقامت مراكز سلطة مؤقتة . وأصبحت ايران التي تأسست فيها أول دولة شيعية كبرى ، قاعدة أساسية للشيعة . وأدى تضافر مستويات النزاع الثلاثة الى جعل الفرس أكبر قاعدة يعول عليها للشيعة ولكن ذلك لا يعنى بالتأكيد ان الشيعة مذهب ايراني . (انظر بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٢٧٣ - ٢٨٣) .

وترجع قصة نشأة الشيعة الى الصراعات التي نشبت في الفترة بعد وفاة النبي محمد عليه الصلاة والسلام والخلافات حول أول خليفة له . والشخصيات الرئيسية للمذهب الشيعي - وخاصة الاثنى عشر اماما - وهم من العرب ومن سلالة الرسول ووجود قاعدة للشيعة في ايران - كما بينت ائبذة التاريخية ودخول الايرانيين في نزاعات مستمرة مع مركز سلطة الامة الاسلامية ، هذا كله يوضح أحد الأبعاد المتعددة للتاريخ الاسلامي ، التي لا تكفى فقط لتفسير خلفية الحرب الايرانية العراقية الحالية .

١ - ١ - الصراع الايراني العثماني حول العراق

كان غزو المغول ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر يعنى بالنسبة للمنطقة بأسرها استغلالا ودمارا . فقد دمرت بغداد التي كانت مركزا سياسيا وثقافيا للامة الاسلامية تدميرا تاما وعجرت المئات من المدارس وأحرقت الملايين من الكتب . ولم تفق المنطقة من عمليات الخراب الا تدريجيا وفي القرن الخامس عشر . وفي ظل موازين قوى متغيرة تماما بدأ ظهور كيانات سياسية جديدة وتحولت كل من ايران وتركيا - اللتين لم تعانيا الا قليلا من الغزو المغولي - الى مراكز قوى جديدة ، ورأى العراق - الذي أصبح لا وزن له نتيجة للدمار الذي حاق به - رأى نفسه عرضة للخطر (جمعة ١٩٨٠ ص ١١) .

واعلنت الدولة العثمانية في عام ١٩٤٢ أنها أصبحت مركز الخلافة الاسلامية وادعت لنفسها حق السيادة على كل المناطق الاسلامية (بروكلمان ١٩٧٧ ص ٤٤٨) . وكان لغزو بغداد أهمية خاصة ، حيث كانت تمثل بوصفها سابقة للخلافة في عهد العباسيين قيمة رمزية رفيعة بالنسبة للعالم الاسلامي .

وكان الوضع مختلفا في الدولة الصفوية الفارسية نظرا لان ايران بوصفها دولة شيعية لم تكن في وضع يمكنها من المطالبة بحق خضوع بقية العالم الاسلامي لسلطاتها . وتخلت آنذاك عن المطالبة التوسعية وعزلت نفسها كلية عن العالم الخارجي . وعند قيام الدولة الصفوية لم يكن سوى نصف الشعب الايراني تقريبا من الشيعة . وبعد ظهور التعصب المذهبي والمذابح المنتظمة ضد السننيين فر هؤلاء الى الهند وافغانستان والدولة العثمانية . وواجهت كثير من القبائل الشيعية المضطهدة نفس المصير . فترك مجالها الحيوي وبحثت عن الملاذ في ايران الشيعية .

وتكونت نتيجة لهذه الحرب دولة فارسية باغلبية شيعية ساحقة (بيتروشوفسكى ١٩٧١ ص ٤٨ ف ف : انظر بروكلمان ص ٤٩٨) . ويرى بعض المؤرخين ان قيام الدولة الصفوية أدى الى ازدهار القومية الفارسية تحت غطاء المذهب « الشيعي » (الطبرى الجزء الاول ١٩٧٠ ص ٣٧٦ . ونحن نرى أن الانتماء المذهبي لم يكن مجرد غطاء فقط ، بل كان يمثل فى الواقع قوة دفع مؤثرة وعلى أية حال تغير وضع المذهب الشيعي - الذي كان المذهب الرسمي للدولة - فى القرن السادس عشر حيث قامت لأول مرة بجانب السلطة سلطة دينية يشبه دورها الى حد ما دور الكنيسة فى اوربا ابان العصور الوسطى اذ كانت السلطة الدينية ايضا مرتبطة الى حد ما بالسلطة السياسية . واستطاع

المذهب احتواء العناصر الفارسية التقليدية ليضمن التوفيق بين المذهب الشيعي والتقاليد الفارسية .

ونظرا لان مقابر سبعة من أئمة الشيعة الاثني عشر وأهم مقدسات الشيعة توجد في منطقة العراق اليوم ، ونظرا لان نصف الشعب العراقي كان من الشيعة (ولا يزال حتى اليوم ايضا) ، فقد ظل العراق يحتل بؤرة الاهتمامات الايرانية وأصبح موضوعا لصراعات متعددة بين الدولة الايرانية والعثمانية . جلبت هذه النزاعات الشقاء على المناطق العراقية بينما لم يكن للعراق نفسه مستوى دور ثانوي .

وقلم الجانب الايراني بحسم هذا النزاع انطلاقا من وجهة نظر مذهبية . وكانت ايران حتى وقت قيام الدولة الصفوية قاعدة للمذهب الشيعي ، غير أنها لم تكن مركزا للنشاط والتعليم الديني ، بينما كانت أماكن أخرى هامة للمذهب الشيعي مثل البحرين وجنوب لبنان والامكن المقدسة في العراق تحظى بأهمية اكبر واستخدمت الدولة الصفوية عند انشائها في القرن السادس عشر المذهب الشيعي لتقوية وتدعيم القاعدة الايدلوجية والقوة الدافعة للدولة الحديثة . واستقدم المعلمون والأساتذة من المراكز الشيعية التقليدية لتحقيق هذا الغرض وشجع على هذا ما كان من التعصب المذهبي الذي كان ظاهرة جديدة في هذه المنطقة . ولذا لا يمكن وصف الدولة العثمانية وكذلك الفارسية بأنها دول قومية بالمعنى الحديث للكلمة . فالدولتان تحملان الطابع المذهبي ، ولان الانتماء المذهبي على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتكامل الدولة . وثمة ظاهرة مميزة أيضا للوضع الراهن وهي العلاقات ما بين الشيعيين والسنيين في العراق الذين كانوا يشكلون في ذلك الوقت حوالي نصف عدد السكان والذين كانوا يتخذون موقف التحفظ والسلبية ازاء الاتجاهات السياسية للدولتين العثمانية والايرانية . ولم ينتقل الطابع المذهبي للنزاع الى الشعب الذي كان يعيش في العراق والذي كان مؤزعا على المذهبين .

وكبعد آخر لهذا النزاع يتعين وضع التدخل المبكر للدول الاوربية في الاعتبار . وحيث ان الدولة العثمانية بوصفها دولة اسلامية قوية كانت تمثل خصما قويا للدول الاوربية ، عرضت ايران ان تكون حليفا (جمعة ١٩٨٠ ص ٢١٥) وكانت ايران مهتمة بحدوث مثل هذا التقارب ، وبخاصة في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٨ - ١٦٢٩) . وأقام عباس علاقات مع اسبانيا وبريطانيا لتقويض سيطرة البرتغال على الخليج ، وسعى الى تدعيم التعاون العسكري مع الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية . ونجح المبعوثان الخاصان لـ ايران في أوروبا وهما البريطانيان روبرت وانتوني شيرلي في مباحثات تحديث الجيش الايراني وتسليحه وتوسيع العلاقات التجارية . وفي مقابل ذلك تعهدت ايران بالموافقة على أنشطة الارشاليات المسيحية وبناء الكنائس (جمعة ١٩٨٠ ص ٢٥٩) .

١ - ٢ - تاريخ مشكلات الحدود .

فتح الايرانيون بغداد لأول مرة في عام ١٥٠٧ ولكنها عادت للسيطرة الدولة العثمانية مرة أخرى في عام ١٥٣٤ . ووقعت عديد من المعارك العسكرية بين كلاً الدولتين استمرت حتى زوال الدولة الصفوية في عام ١٧٢٢ وكانت هذه الدولة أو تلك تتناوب السيطرة على العراق . وفي عام ١٦٣٩ تطورت النزاعات الى صراعات على الحدود لأول مرة ويجب عند التعرض لمشكلات الحدود وضع العوامل التالية في الاعتبار :

(أ) لم يكن العراق يشكل وحدة رسمية معترفا بها . وكانت بغداد والبصرة والموصل ولايات تابعة للدولة العثمانية ، حيث احتلت بغداد بوصفها عاصمة اقليمية وضعا خاصا .

(ب) لم تكن الحدود بين هذه الولايات الثلاث والدولة الفارسية محددة كتابيا ولم تكن الحروب الايرانية نتيجة لمطالب متناقضة على الحدود ، بل كان الدافع هو اهتمام ايران بالسيطرة على بغداد والمقدسات الشيعية وحماية السكان الشيعيين .

(ج) تمت تسوية المطالب المذكورة في المعاهدات الاولى بين الدولة العثمانية والفارسية خلال الاعوام ١٥٥٥ و ١٥٩٠ و ١٦١١ و ١٦١٣ وكذلك عام ١٦١٨ ، أما تخطيط الحدود فلم يوضع في الاعتبار ولم يكن موضوعا للمفاوضات وتم تحديد مناطق نفوذ كلاً الدولتين في معاهدة ذهب ١٦٣٩ ، ولكن لم يتم تثبيت الحدود (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١١) .

توجد من وجهة نظرنا ومن استقراء المعاهدات اسباب لهذه الظاهرة وهي : يتشكل الاكراد الذين يعيشون في مناطق الحدود عاملا مقلقا بالنسبة لكلاً الدولتين ، يتكيف مع الجانب الذي يتفق مع اوضاعه السياسية . ويبدو ان تخطيط الحدود نشق الشعب الكردي أمر غير واقعي . ولم تهتم هاتان الدولتان بوضع خط ثابت للحدود قدر اهتمامهما بمناطق النفوذ ، ولعل أوضح مثل على هذا الموقف هو النزاع على حاكم السليمانية (اليوم شمال العراق) الذي كانت بغداد قد عينته هناك ، فقد طالبت ايران بحق التشاور والموافقة على تعيينه . وفضلا عن ذلك كان يستوطن الحدود بدو رحل لم يندمجوا في هذه الدولة أو تلك . وجرت محاولات في المعاهدات التالية لحل هذه المشكلات ، حيث لم تطالب هذه الدول بالسيادة على مناطق معينة محددة بل على قبائل معينة (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٣ - ٢٠) .

ومن عام ١٦٣٩ فصاعدا كانت مناطق السليمانية وذهب موضوعا دائما للنزاع ومعاهدات السلام التالية . ولم يرد ذكر في هذا الوقت للنزاع الحالي

حول مر شط العرب في أية اتفاقية ، ولكنه أصبح في القرن العشرين أهم مشكلة بين بغداد وطهران ، حيث أن الملاحة لم تصبح مهمة إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبذلك ازدادت قيمة شط العرب ومنذ عام ١٩٣٦ لم تعد دول المنطقة تتصارع على الحدود بل على مناطق النفوذ (١) .

وهناك موضوع آخر للنزاع في الحرب الحالية بين إيران - العراق لم يلعب أي دور في المعاهدات والنزاعات التي ذكرت أعلاه : النزاع على ولاية خوزستان (الأحواز) . وكانت هذه الولاية الواقعة على الخليج حتى عام ١٩٢١ إمارة مستقلة ، تهما مثل أقاليم إيرانية أخرى .

وأقامت الولايات الإيرانية المستقلة ، بوصفها إمارات عربية علاقات خاصة مع الدولة العثمانية ، التي كانت قد وافقت عموماً في اتفاقيات مختلفة على سيادة إيران على هذه المناطق (٢) . وقد ارتكزت المطالب العراقية عند بداية الحرب الحالية مع إيران على « تحرير » هذه الولايات ، وخاصة في ظروف النزاع الجديدة التي سنعرضها في الفصل السادس من هذا الكتاب .

١ - ٣ - حروب ومعاهدات

(١) معاهدة ذهب في ٨ مايو ١٦٣٩ :

احتوت كثير من الاتفاقيات ، التي أبرمت بين الدول العثمانية والإيرانية على مدى العمليات الحربية التي استغرقت أكثر من مائة عام ، على اتفاقيات هدنة واتفاقيات سلمية وتم تحديد مناطق النفوذ لأول مرة في عام ١٦٣٩ .

وأهم ما تضمنته اتفاقية ذهب ما يلي :

- إبقاء ولايتي البصرة وبغداد في أيدي الدولة العثمانية .
- احترام وحدة القبائل البدوية . تسيطر الدولتان على قبائل معينة وليست مناطق معينة .

- عدم تحديد خط الحدود ، أما بالنسبة لخصوصيات جغرافية معينة مثل سلسلة جبال زاغروس ، التي كانت تحت سيطرة الدولة الإيرانية ، فقد وضعت تسويات خاصة بها .

- تحديد مناطق النفوذ في كردستان وقيام تعاون مشترك ضد مطامع الإمارات الكردية المحلية في الاستقلال .

(١) أنظر في هذا العدد نصوص الاتفاقيات المهمة في الملحق .

(٢) مثل ملحوظة رقم ٢ .

(ب) معاهدة ارتسروم الأولى في ٢٨ مايو ١٨٢٣ :

لم تكن فترة المائتي العام بين معاهدة ذهب ومعاهدة ارتسروم خالية من الأعمال الحربية . وهكذا غزت الدولة الإيرانية بغداد ، ولكن أمكن تسوية أغلب النزاعات بناء على اتفاقية ١٦٣٩ . غير أن نشوب الحرب من جديد في عام ١٨٢١ أدى بعد عامين إلى اتفاقية ارتسروم الأولى ، التي استغفلت النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

- عدم تدخل الدولة الإيرانية في الشؤون الداخلية لولاية بغداد وكردستان اللتين أعيد تأكيد تبعيتهما للدولة العثمانية .

- تنظيم مناطق المرعى للقبائل البدوية .

- حق الإيرانيين في الحج إلى مكة والمدينة (وكلتا المدينتين كانتا ضمن التراب العثماني) وحرية العبور إلى المقدسات الشيعية في العراق .

- اتفاق جديد للتعاون ضد القبائل الكردية والإمارات التي حاولت استغلال النزاعات بين كلتا الدولتين (انظر الراوى ١٩٨٠ صفحة ١٧) .

(ج) اتفاقية ارتسروم الثانية في ٣١ مايو ١٨٤٧ :

ونظراً لأن الاتفاقيات السابقة لم تسو مشكلة رسم الحدود بل اهتمت بمناطق النفوذ - نشبت مصادمات عسكرية بين الدولة العثمانية والإيرانية . واحتل حاكم بغداد العثماني في عام ١٨٣٧ مدينة خورامشهر الإيرانية (غالبيتها من السكان العرب) ، أما الإيرانيون فقد احتلوا عام ١٨٤٠ السليمانية في شمال العراق وهددوا بغزو الكويت والبحرين ولما رأت روسيا وبريطانيا ، اللتان تتهمتان بامتيازات عديدة ومصالح اقتصادية في مناطق نفوذهما (روسيا في إيران ، وبريطانيا في العراق) أن الحرب تعرض مصالحهما التجارية والملاحة الآمنة في الخليج وشط العرب - للخطر ، تدخلتا للتوصل إلى اتفاق سلمي ، وتتضمن معاهدة ارتسروم الثانية ، التي تم التوقيع عليها تحت تأثير وفي وجود كلتا الدولتين الكبيرتين ، التسويات التالية :

- إعادة مدينة خورامشهر المحتلة وإقليم الأهواز .

- إعادة السيادة العثمانية على السليمانية .

- تنظيم عملية الملاحة في شط العرب وحق السفن الإيرانية في المرور الحر في شط العرب .

- تكوين لجنة تضم ممثلين للدول الأربع (العثمانية والإيرانية وروسيا وبريطانيا) لتنظيم خط الحدود . ولكن عرقل عمل هذه اللجنة نشوب نزاعات واحداث جديدة . فضلاً عن اندلاع حروب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ .

ولم تتوصل الاجتماعات التالية في اعوام (١٨٦٩ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٦) الى
ية نتائج ملموسة (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٨ - ٢٢) .

(د) بروتوكول طهران في ٢١ ديسمبر ١٩١١ :

مع بداية القرن العشرين ظهرت اعراض التدهور على الدولتين العثمانيه
والايرانية واصبحتا في غاية الضعف لدرجة لا تمكنهما من تحقيق مطالبهما .
وسعت الدولتان الاوربيتان الكبيرتان المتنافستين (روسيا وبريطانيا) الى
تنظيم جديد لمناطق نفوذهما في الشرق الاوسط .

وبعد اكتشاف البترول في الاقاليم الجنوبية لايران في عام ١٩٠١ ومع
بريطانيا حقوق استخراج البترول - اصبحت ايران محور المصالح البريطانية
واستطاعت الدولتان المتنافستان بعد نزاع استغرق ما يقرب من مائة عام
تحديد مناطق نفوذهما في ايران في المعاهدة الروسية البريطانية عام ١٩٠٧
فأصبح الجنوب الآن من حق « بريطانيا » ، أما الشمال فقد أصبح من حق
« روسيا » (هرويتس ١٩٥٦ ص ٢٦٦ ف) . وفي هذا الصدد سعت
كلتا الدولتين الكبيرتين الى حل لمشكلات الحدود ، التي تبلورت في بروتوكول
في اجتماعات طهران . ولكن فشلت في طهران الجهود الرامية للتخطيط النهائي
للحدود ، وحولت مرة أخرى الى لجنة للحدود . واصدرت الدولتان العثمانية
والايرانية بيانات بالتنازل عن حل مشكلات الحدود بينهما بالوسائل العسكرية
وتحويل مشكلات الحدود التي لا حل لها الى محكمة العدل الدولية في لاهاي
(زكى ١٩٦١ - ص ٢٢٦ ، انظر الراوى ١٩٨٠ ص ١٥) .

(هـ) بروتوكول اسطنبول في ١٧ أكتوبر ١٩١٣ :

امكن في هذا البروتوكول ، الذي تم تحت ضغط ووجود كلتا الدولتين
الاوربيتين الكبيرتين ، التوصل لأول مرة الى تسوية لخط الحدود . وكلفت لجنة
الحدود التي كانت تتكون من اربعة من ممثلى الدول الاربع بتحديد علامات
الحدود وتضمن البروتوكول الاتفاقيات التالية :

١- اخضاع الجزر العديدة الواقعة امام اقليم عبادان للسيادة الايرانية
وكذلك جميع الجزر التي تنشأ على مر الزمن (ظاهرة جغرافية في هذه
المنطقة) .

٢- تبعية شط العرب للدولة العثمانية ، ويشكل الساحل الايسر
(الشرقى) حدود الدولة الايرانية .

٣- تأمين الملاحة الحرة في شط العرب وفي قارون بالنسبة لكلتا الدولتين
وحلفائهما ايضا .

٤- تختص لجنة الحدود بالاتفاقيات الثلاث :

في حالة عدم اتفاق ممثلى الدولتين العثمانية والايرانية يتعين نقل آرائهما
في خلال ٤٨ ساعة لممثلى الدولتين الكبيرتين ، الذين يتولان الفصل في موضوعات
الخلاص وتكون قراراتهم نهائية (الراوى ١٩٨٠ ص ٢٧ - ٢٩) .

(و) قرارات لجنة الحدود عام ١٩١٤ :

استأنفت لجنة الحدود الرباعية اعمالها في بداية يناير ١٩١٤ وانتهت
في ٢٦ نوفمبر من نفس العام وفي هذه الفترة وضعت علامات الحدود بمحاذاة
الخط المحدد وتم تصوير هذه الحدود فوتوغرافيا . فقد سجلت التفاصيل
في ٨٧ فصلا ، كانت تحتوى على اول وصف دقيق لمسار الحدود بين كلتا
الدولتين . واتخذت فيما بعد اساسا لكل المفاوضات الخاصة بالحدود بين
ايران والعراق .

١ - الصراع العراقى الايرانى بعد الحرب العالمية الاولى :

أدى زوال الدولة العثمانية الى اعادة تنظيم المنطقة وفتح الباب أمام
صراعات جديدة بين الدولتين الحديثتين ايران والعراق . وقامت بريطانيا
وفرنسا وروسيا القيصرية اثناء الحرب العالمية الاولى بتقسيم المنطقة الى
مناطق نفوذ في اتفاقية « سامكس بيكو » (هرويتس ١٩٥٦ ص ١١٢ ف) .
وغزت بريطانيا العراق في عام ١٩١٧ واصبحت طبقا لمفاوضات السلام
في باريس دولة منتدبة وظلت تحكم العراق حتى عام ١٩٣٢ ، بالرغم من اعلانه
دولة مستقلة في عام ١٩٢٢ (ابراهيم ١٩٨٣ ، ص ٣٠٨ - ٣١٠) . غير أن
مصر كردستان الجنوبية (شمال العراق الآن لم تكن قد حسم بعد . وكانت
كردستان بين عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٤ مملكة ، وشجعت معاهدة « سيفريه »
مسايعها الاستقلالية ، ولكن سرعان ما نسفت هذه المسايع في مؤتمر لوزان
بسبب تغير موازين القوى السياسية العالمية (انظر ابراهيم ١٩٨٣
صفحة ٢٩٠) .

وطالبت تركيا ، التي اعتبرت نفسها وريثة للدولة العثمانية وكذلك
العراق الذى تأسس حديثا ، بهذه المناطق التي كانت تتمتع بأهمية استراتيجية
واقتصادية (مصادر البترول) ، (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٢٨٠ - ٢٨٨ -
ص ٣١٢) . وفي عام ١٩٢٥ اصبحت المنطقة وفق القرار عصبة الامم جزءا
من الدولة العراقية (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٣٠٨ - ٣١٠) .

واستغلت ايران عدم استقرار الدولة العراقية الحديثة النشأة
والصعوبات الداخلية التي تواجهها وطالبت باعادة النظر في الحدود التي قد تم
رسمها في عام ١٩١٤ ، بحجة أن هذه التسوية لم تكن في صالحها ، ولم تعترف
ايران بالعراق برغم العديد من الوساطات الدولية (بريطانيا) واعترضت
على الراى العراقى الذى يفيد بان الدولة الجديدة جزء موروث من الدولة
العثمانية (انظر الراوى ١٩٨٠ ص ٣٧) .

وساعد عاملان على اشتعال النزاع من جديد :

(١) استيلاء رضا خان قائد الجيش الايراني في عام ١٩٢١ (اطلق عليه شاه ابتداء من عام ١٩٢٥ على السلطة السياسية في ايران بعد انقلاب عسكري وانشأ بمساعدة العسكريين وبتأييد من بريطانيا دولة مركزية اخضعت مراكز القوى المحلية لضغوط مكثفة . وهكذا وضع اقليم - الاحواز الذي كان على سبيل المثال اماره عربية ، ومنطقة للنزاع بين الدولة العثمانية والايرانية ، لسلطة مركزية وفي عهد الشاه بدا تكوين قومية ايرانية جديدة بعيدة عن الاسلام والعرب باحثه عن قواعدها في تاريخ ما قبل الاسلام . وانفجرت بتلك اضطرابات جديدة في العلاقات مع العراق .

(ب) يشكل الشيعة في منطقة العراق ما يربو عن نصف الشعب وكانت الادارة السنية العثمانية تسيء معاملتهم . وقاموا في عام ١٩٢٠ بمقاومة نشيطة للاحتلال البريطاني وساهموا بذلك جوهريا في استقلال الدولة الحديثة ، التي سيطر فيها السنيون على الحياة السياسية بعد تسليم التاج العراقي لفیصل بن حسين الذي جاء من مكة ، وسرعان ما نشأت سيطرة سنية على جهاز السلطة الحديث النشأة ، وبذلك تم ابعاد الشيعيين عن مراكز السلطة . وسنحل كلا هذين العاملين تحليلا تفصيليا في الفصل السادس .

ازدادت حدة التوتر على طول الحدود بدءا من عام ١٩٢٤ (١) . كما أن قانون الجنسية الذي اصدره العراق في عام ١٩٢٤ لم يضمن الجنسية العراقية الا لمواطني الدولة العثمانية (الراوى ١٩٨٠ ص ٤٢ ف) . وبهذا القانون لم يمنح النظام العراقي الجنسية لمائتي ألف شيعي ممن يحملون الجنسية الايرانية كانوا يعيشون عبر اجيال على التراب العراقي واغلبهم من العرب الذين حاولوا اللواذ بالدولة الايرانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، لمجرد الهروب من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني وظلت هذه المشكلة مثار توتر دائم من العشرينيات وحتى يومنا هذا ولم يتم التوصل الى حل .

وعملت ايران رفضها الاعتراف بالعراق لوضع الطائفة الايرانية التي تعيش في العراق . ولم تعترف ايران بجارتها الا تحت ضغط بريطانيا في عام ١٩٢٩ واجريتا محادثات ثنائية ، غير انها لم تسفر عن أي حلول مرضية للمشكلات القائمة . وقامت الحكومة العراقية بتطبيق قانون اقامة الاجانب

(٤) وثائق وزارة الخارجية الايرانية ١٩٢٩ رقم ٢١ الفصل ١٦ ، طهران .

بشكل غير مقبول من جانب ايران . وظلت مشكلة الحدود في شط العرب وكذلك مشكلة الملاحة بدون حل (١) .

قدم كل من العراق وايران مذكرة بمطالبتهما الى عصبة الامم في عام ١٩٢٤ التي لم تتوصل الى قرار واكتفت بدعوة الدولتين لحل المشكلة . وكان اهم مطلب لايران هو تقسيم السيادة على شط العرب ورسم الحدود بمحاذاة طريق الوادي على جانبي الممر المائي (٢) .

وادت الاهتمامات الغربية والبريطانية لاقامة تحالف اقليمي مناهض للسوفييت الى اجراء مفاوضات جديدة والى ابرام اتفاقية جديدة بين كلتا الدولتين تم التوقيع عليها في ٤ يولية ١٩٣٧ (٣) . وجاءت هذه الاتفاقية منفذة لمطلب ايران حول تحديد الحدود في شط العرب على طول طريق الوادي ، اما المطالب الاخرى الخاصة باجراء تعديلات في الحدود واقامة ادارة مشتركة للملاحة فلم توضع في الاعتبار .

وبناء على الوضع الجديد اقتربت الدولتان أحدهما من الاخرى بوصفهما شركاء في حلف مناهض للسوفييت ، واقامتا حتى عام ١٩٥٨ علاقات وطيدة وهادئة الى حد ما (٤) . وتوارت مشكلة الحدود الى الخلف . وسنقوم بتحليل هذا البعد الاقليمي الذي كان له - من وجهة نظرنا أثر في علاقات الدولتين منذ عام ١٩٣٢ في فصل خاص .

دخلت الدولتان مرحلة جديدة من مراحل التوتر بسبب الثورة العراقية في عام ١٩٥٨ التي أطاحت بالملكية الحليفة للبيت الحاكم الايراني . وأعلنت ايران في ١٩ أبريل ١٩٦٩ ان اتفاقية عام ١٩٣٧ غير سارية المفعول (فريدمان ١٩٨١ ص ١٦٦) . وتميزت علاقات البلدين في الفترة ما بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٥ بالتوترات على الحدود وتأييد القوى المعارضة في البلد المجاور والتناكس على السيطرة في الخليج . ونصت اتفاقية الجزائر في مارس ١٩٧٥ على ضرورة

(١) تقرير السفير فيروخي ، في : وثائق ، طهران عام ١٩٢٠ ، انظر تقرير السفير الايراني خاديمي في بغداد ، في : وثائق طهران عام ١٩٣٠ .

(٢) تقرير السفير الايراني لدى عصبة الامم ، وثيقة طهران ، عام ١٩٣٤ .

(٣) وثائق ، طهران رقم ٣ الفصل الخامس عشر .

(٤) انظر في هذا الصدد : الكتاب السنوي لوزارة الخارجية الايرانية عام ١٩٥٨ .

وضع حل نهائي لمشكلات الحدود ومشكلات التعاون الامنى . غير ان الثورة
الايرائية التى قامت عام ١٩٧٩ وتغير موازين القوى فى المنطقة الغى هذه
الاتفاقية من اساسها .

١ - ٥ - اتفاقية الجزائر

تعد هذه الاتفاقية المبرمة فى ٦ مارس ١٩٧٥ آخر اتفاقية بين ايران
والعراق وتعتبر من وجهة النظر الدولية اساسا لاية تسوية سلمية للحرب
الحالية . وقد اثر عاملان جديداً على مضمون وتشكل هذه الاتفاقية فضلاً عن
حظة الحدود التاريخية ، وهذان العاملان هما :

— الصراع الاقليمى وكذلك التنافس على السيادة فى الخليج . وادى هذا
لتنافس فى عام ١٩٧١ الى احتلال ايران لثلاث جزر فى الخليج (انظر هاليداي
١٩٧٥ ص ٨٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٢) .

الحركة القومية الكردية فى العراق ، التى اخذت ابتداءً من عام ١٩٧٢
بناءً على مساندة ايران والولايات المتحدة لها ، بعدا أكثر اتساعاً . وتعين على
العراق الاعتراف بالمطالب الايرانية مقابل انهاء الدعم الايرانى للحركة الكردية (١)
وجدير بالذكر ان الشاه وصدام حسين نائب رئيس الوزراء العراقى سابقا
قد اتفقا فى اطار قمة الأوبك التى عقدت فى الجزائر على النقاط التالية :

— وضع تسوية نهائية للحدود على أساس بروتوكول اسطنبول لعام ١٩١٣
وملفات لجنة الحدود فى عام ١٩١٤ .

— تحديد الحدود فى شط العرب على طول طريق الوادى .
— اعادة الأمن والثقة المتبادلة على طول الحدود المشتركة وكذلك رقابتها
المشددة لمواجهة العبور غير الشرعى للحدود وما يترتب عليه من أعمال تخريبية .
تعتبر الملاحق المتفرقة للاتفاقية أجزاءً من تسوية شاملة ، ولو خرق بند
واحد من بنود الاتفاقية تلغى الاتفاقية بأكملها (٢) .

وتتفق الفقرتان الاوليتان مع المطالب الايرانية . ويتبين من قراءة الفقرة
الرابعة والثالثة استعداد العراق لتقديم تنازلات . وحيث انه لم يرد اشارة
مطالبة العراق بالجزر التى تحتلها ايران فى الخليج ، فان ذلك يعنى من الوجهة
الواقعية التسليم بضم ايران لهذه المناطق .

(١) انظر فى هذا الصدد : وثائق الكونجرس الامريكى (تقرير المخابرات
الامريكية الرئيس لا يريدك أن تقرأ) ، صوت القرية بتاريخ ٧٦/٢/١٦
ص ٧٠ - ٩٢ .

(٢) انظر فى هذا الصدد نص الاتفاقية فى الملحق .

وهنت علاقات كلا البلدين حسنة حتى قيام الثورة الايرانية ، وتجلى هذا
الاستقرار فى العديد من الاتفاقيات الاقتصادية الثنائية . ولكن عاد التوتر من
جديد بعد نجاح الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ ، وفى ١٧ سبتمبر ١٩٨٠ - أى قبل
بداية الحرب بأيام قليلة - ألغى العراق اتفاقية الجزائر بسبب عدم تنفيذ ايران
للاتفاقية الثالثة .

١ - ٦ - هل هو ارث التاريخ ؟

يبين الموجز السابق لقصة الصراعات والحروب والاتفاقيات بين الدولتين
الايرانية والعثمانية وبين الدولتين الحديثتين ايران والعراق ، جذور الحرب
الايرانية العراقية ويوضح مجال الرؤية التى تستند اليها الحرب الحالية وبخاصة
مشكلات الحدود والمطالب الاقليمية المختلفة .

ونحاول هنا فى نهاية معالجتنا للموضوع من الناحية التاريخية أن نبرر
مدى تأثير الارث التاريخى على اندلاع الحرب وما هى العوامل التى يتعين وضعها
فى الاعتبار .

(أ) لم يؤثر الانتماء المذهبى على النزاعات الدائرة بين كلتا الدولتين
القديمتين فقط ، بل ايضا على كيان الدول الحديثة . وقدمت ايران نفسها فى
هذه الحروب كدولة شيعية ، سيطر على جهازها الرسمى الطابع الدينى والمذهبى .
وتسببت علاقات ايران مع الاغلبية الشيعية فى العراق فى نشوب سلسلة من
الصراعات فى التاريخ الحديث .

(ب) يعتبر هيكل المجتمع العراقى والدولة العراقية الحديثة مراثا لهذه
التطورات التاريخية . ويرجع التقسيم المذهبى والعرقى فى العراق الى الحروب
والنزاعات المذكورة . وتشكل الاغلبية الشيعية ، التى أبعدتها الحكام السنيون
عن مجالات السلطة ، عنصر سخط ، وقد تصبح تحت ظروف معينة حليفة
لايران الشيعية . كما أن الاكراد الموزعين على كلتا الدولتين كانوا ، ولا يزالون ،
عامل قلق فى هذا الصراع .

(ج) وهناك خلفية تاريخية لمشكلة الجنسية ، التى تظهر فى البيانات
الرسمية لكلا البلدين كدافع للحرب ، بعد أن رحل العراق ما يقرب من ١٠٠ ألف
مواطن من أصل ايرانى .

(د) وينطبق ذلك على مشكلة الحدود المستعصية الحل وعلى المطالب
الاقليمية لكلا البلدين . وازدادت حدة النزاعات على الحدود وخاصة شط
العرب مع ازدياد أهمية الخليج والبعد الاستراتيجى والسياسى التجارى
للملاحقة .

وهناك عاملان آخران قد يعتبران ارثا مثقلا من التاريخ ، بالرغم من
أن جوانب رسمية اعتبرتهما سببا للحرب وهما : تأييد العراق لمطامع السادة

العربية في منطقة خوزستان وضم ايران لثلاث من الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية في الخليج .

وتوجد عوامل أخرى كثيرة ساهمت في اندلاع الحرب وحددت مسارها ، وهذه العوامل ما هي الا نتيجة لتطورات جديدة في هذه المنطقة . ان الاختلافات الايديولوجية التي أدت الى ظهور تناقضات في النظام السياسي (قومية عربية ونهضة الاسلام) ، وكذلك تدخل الدول العظمى والكبرى بشكل مكثف ، تعتبر ظواهر جديدة تخضع لعملية تحول مستمرة ، ولابد من رؤيتها في سياق النظام الدولي والاقليمي الجديد .

٢ - الأبعاد الاقليمية والايديولوجية للصراع

أخذ البعد الاقليمي للصراع الايراني العراقي اشكالا جديدة بعد الحرب العالمية الثانية وما نجم عنها من أقلمة وتدويل النزاعات المحلية . ولم يمكن التوصل الى حل نهائي لنزاعات الحدود الزمنية . أما السؤال : لماذا أصبحت هذه النزاعات في غاية العنف في فترات معينة بينما ساد جو من التعاون بين كلا البلدين في فترات أخرى ؟ فلا يمكن الاجابة عليه الا عن طريق اجراء تحليل للعوامل الاقليمية ومصالح الدول العظمى المرتبطة بها .

ونحاول في هذا الفصل تحليل ثلاثة عوامل أخرى ساهمت بجانب التحالفات الاقليمية في اقليمية النزاع وهي : صراعات الدول العظمى ، ظهور القومية العربية وازدهار الاسلام ، حيث أثر العاملان الآخران بوصفهما جوانب ايديولوجية جديدة تأثرا بالغا على الحياة السياسية في الشرق الأوسط .

٢ - ١ - تاريخ النزاعات الاقليمية :

ساد في المنطقة جو هادي ومستقر نسبيا في فترة ما بين الحربين لأن سيطرة الدول العظمى على الشرق الأوسط استقطعت الحد من انفجار قوى الصراعات الموروثة (١) . لقد كان اهتمام الدول الغربية الرئيسي ينصب على اقامة تحالف اقليمي يقف حاجزا امام النفوذ السوفيتي . وعند بداية العشرينيات - ابان صراع الشرق والغرب الأول أرغم الاتحاد السوفيتي أهم دولتين جارتين وهما أفغانستان وايران ، على اتخاذ موقف الحياد . ففي عام ١٩٢٠ عقد الاتحاد السوفيتي مع أفغانستان ، وفي عامي ١٩٢١ - و ١٩٢٧ مع ايران اتفاقيات صداقة ألزمت كلتا الدولتين بالحياد التام (يودفات ١٩٨٤ ص ١٢ - ١٤ ، انظر كيليك ١٩٥٩ ص ٧١) . ولكن المصالح البريطانية

(١) انظر في هذا الصدد الفصل السادس .

الاقتصادية المتنامية في ايران (تتمتع بريطانيا بحق التنقيب عن البترول الايراني واستخراجه وعزلة الاتحاد السوفيتي المتصاعدة ليس فقط بسبب تفاقم الوضع السياسي في بلاده - أدى الى تقرب أفغانستان وايران الى الغرب .

ومما يسترعى الانتباه ان بريطانيا وايران جددتا اتفاقيات استخراج النفط في عام ١٩٣٣ (بنى صدر عام ١٩٨٠ ص ١٤) . وانتهى الانتداب البريطاني في العراق عام ١٩٣٢ ، ولكن أبرمت اتفاقيات جديدة ضمنت استمرار النفوذ العسكري لبريطانيا (سلوجيت ١٩٧٦ ص ٢٦٠) . وبذل البريطانيون آنذاك قصارى جهدهم للتوصل الى تسوية نهائية لمشكلات الحدود ، التي نوقشت في عصبة الأمم ١٩٣٣ ولكن دون احراز نجاح أو توصل الى اتفاقيات ملزمة . وبعد مفاوضات طويلة تم اقامة أول حلف سياسي عسكري في المنطقة عام ١٩٣٧ ، اشتركت فيه بريطانيا وايران والعراق وتركيا وأفغانستان . ولم يسو ميثاق « سعد اباد » لعام ١٩٣٧ مشكلات التعاون العسكري ، فقط بل أعلن أيضا الاعتراف بالحدود القائمة واطر اجراء محادثات مباشرة لتصفية مشكلات الحدود التي لا تزال بدون حل وكذلك ايجاد حل سلمي لكل الخلافات الدولية (ميثاق سعدابان ، طهران ، يولييه ١٩٣٧) . وفي ٤ يوليو جرى في نفس المكان وكنتيجة لهذا التقارب الاقليمي التوقيع على اتفاقية ايرانية عراقية جديدة . ويتضح من الوثائق ايرانية ان ايران لم تكن مستعدة للتوقيع على هذه الاتفاقية الا تحت ضغط بريطانيا فقط وتحت تأثير الاتفاقية العسكرية (١) .

وتلى هذه الاتفاقية سبع اتفاقيات أخرى بين كلتا الدولتين ، سويت فيها مشكلات الحدود والجنسية وقانون الإقامة ونظمت العلاقات التجارية الثنائية (٢) . وأثرت روح ميثاق سعد اباد على تعايش كلا البلدين في الاعوام التالية ، وخلقت جوا خاليا نسبيا من النزاعات .

أبرمت بريطانيا وايران والعراق وباكستان وتركيا حلف بغداد ١٩٥٥ . باشتراك الولايات المتحدة كمراقب (انظر كاليفوكريس ١٩٧١ ص ١٨٦) . وكان ضابغ هذا الحلف المناهض للسوفييت واضحا وبخاصة فيما يتعلق بمصالحه الاستراتيجية ، حيث ان الاتحاد السوفيتي الذي خرج من الحرب العالمية

(١) تقرير السفير الايراني لدى عصبة الأمم في : الكتاب السنوي

I , 4 , M طهران ١٩٣٧ ، أنظر أيضا جيركه / وفينر ١٩٧٥ ص ١٦٥ .

(٢) نصوص الاتفاقيات السبع في الكتاب السنوي I , 4 , M ، طهران ١٩٣٧

الثانية كدولة عظمى جديدة كان يبذل قصارى جهده للحصول على منطقة نفوذ في سوريا ومصر (دينكاوس) (١٩٨١ ص ٤٥ ، ٥٤) .

وادت الثورة العراقية في يونيو ١٩٥٨ الى حدوث توتر سياسي مع ايران . وحاولت الكثير من العناصر المعارضة - وبخاصة الاكراد الذين كانوا مضطهدين في ايران - الفرار الى حكومة العراق المناهضة للامبريالية ، وعلى الجانب الآخر هرب كثير من كبار الملاك والقوى الموالية للنظام الملكي الى ايران . واصبحت كلتا الدولتين اماكن للجوء للعناصر المعارضة ، التي تتعاون معها « الدول المضيفة » . واصبحت هذه الاوضاع المتناقضة مادة جديدة للنزاعات .

وتزايدت حدة الاستقطاب لهذا النزاع الثنائي بشكل ملحوظ فيما بعد . فقد احدثت الاطاحة بالنظام العراقي ضربة قاسية بحلف بغداد واختيرت انقرة مقرا جديدا للحلف) ، وادى ذلك الى حدوث تقارب بين العراق والاتحاد السوفيتي . واصبح للعراق اهم حليف للاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط على الاقل في عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ (اجينا ١٩٧٣ ص ٥٢ انظر دينكاوس ١٩٨١ ص ٣٣ ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، وكذلك هاري ١٩٦٠ ص ٢٠ ف) . وادت التغييرات التي طرأت على النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية الى تدنى اهمية الدول الاوروبية وصعود الولايات المتحدة الامريكية الى مصاف الدولة العظمى القائدة الى قيام الولايات المتحدة بطرد بريطانيا التي كانت تعتبر اقوى دولة غربية في الشرق الاوسط والحلول محلها ، بل اصبحت بعد انقلاب ١٩٥٣ عاملا حاسما في ايران (بنى صدر ١٩٨٠ ص ١٨ - ٢٠) . وتواكب استيلاء حزب البعث العراقي الاشتراكي على الحكم في عام ١٩٦٨ مع واحد من اهم الاحداث السياسية بعيدة المدى الا وهو انسحاب بريطانيا من الخليج والبحر العربي . وسعت كلتا الدولتين العظميين وحلفاؤهما الى ملء الفراغ الذي احدثه انسحاب بريطانيا . وسعت كل من ايران والعراق - اهم واقتوى دولتين في الخليج - للسيطرة على الخليج . ولا يزال هذا التنافس طامع العلاقات بين الدولتين حتى يومنا هذا (انظر هاليداي ١٩٧٥ ص ٧٥ - ٨٠) .

وكانت مطامع السيطرة الاقليمية مرتبطة في جانب منها بموازن القوى الجديدة بين الدول العظمى وبالعلاقات بين الدول العظمى وحلفائهما في الجانب الآخر . واصبحت ايران اهم حليف للولايات المتحدة بجانب اسرائيل ، وعظمت ايران قوتها الاقتصادية والعسكرية الضاربة في بداية السبعينات ، بحيث اصبحت اقوى قوة عسكرية قيادية في المنطقة ، بل ثاني اقوى دولة (بعد الهند) في المحيط الهندي . اما سياسة الشاه التي كان ينتهجها والتي اعطت لايران دور الشرطي الاقليمي فقد كانت ترمى الى هدفين : اولهما حماية المصالح الاقليمية الغربية ومقاومة الميول الثورية في المنطقة . ففى اقليم « ظفار » بعمان

كانت هناك حرب عصابات يسارية تستند لها الصين والعراق ، تشر قلق القوى الحاكمة في الخليج كما فجرت الثورة الفلسطينية موجة راديكالية . ولم يمكن القضاء على الثورة في عمان الا بمعونة التدخل المباشر للقوات المسلحة الايرانية . واستولت ايران في عام ١٩٧١ على اهم ثلاث جزر استراتيجية في الخليج (ابو موسى ، وطنب الصفري والكبرى) التي كانت تابعة لدولة الامارات العربية (هاليداي ١٩٨١ ص ٢٥ - ٢٢ ، ص ١١٢ - ١١٦ ، انظر بودفات ١٩٨٤ ص ٣٦ - ٤٨ (١) .

وادى الوضع الداخلى في العراق (حركة المقاومة الكردية) والعوامل الاقليمية (نهضة ايران) الى التقارب العراقي - السوفيتي . ووصل هذا التقارب العراقي السوفيتي ذروته بتوقيع معاهدة الصداقة في ابريل ١٩٧٢ وتشكيل حكومة ائتلافية بين حزب البعث والحزب الشيوعي العراقي الموالي للاتحاد السوفيتي (بودفات ١٩٨٣ ص ١٠ - ١٩) .

وادى الارتفاع الهائل في أسعار البترول وما صاحبه من ارتفاع في الفوائد التي تدفقت على تسليح الجيش في كلا البلدين ، الى زيادة اطماع السيطرة الاقليمية لكلا البلدين . وتميزت هذه الفترة بهزيمة الولايات المتحدة في الهند الصينية ، ووقفت هذه التجربة والخوف من تورط جديد في نزاع اقليمي - عائقا امام تطبيق مبدأ نيكسون ، الذي كان يمنع الولايات المتحدة الامريكية من التدخل العسكري المباشر بينما يسمح لها بتقوية الحلفاء الاقليميين . واكدت زيارة الرئيس الامريكي نيكسون لايران دور واهمية هذا البلد كعامل قوة اقليمي في مفهوم نظرية نيكسون (خوبين ، تساييب ١٩٧٤ ص ٢٤٦ ، انظر كيسنجر ١٩٧٩ ص ٣٤٠) .

لم يكن الدور الذي لعبته هاتان الدولتان بالنسبة للمعارضة هو السبب في اشتعال الصراعات والاستقطاب الدولي واطماع السيطرة الاقليمية على المنطقة . واطلق الرئيس العراقي صدام حسين على هذا الصراع ذات مرة « صراعا بالنبابة » .

٢-٢- تحالفات اقليمية جديدة ومواجهات جديدة :

وصل النزاع بين ايران والعراق ذروته في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ حيث ظهر تنافس كلتا الدولتين العظميين على المستوى الاقليمي . وكثفت ايران

(١) كانت مطامع السيادة ملحوظة من جانب العراق أيضا . فقد طالب رسميا في عام ١٩٦١ بالكويت المقامة حديثا واعتبرتها جزءا من مقاطعة البصرة (خضوري ١٩٧٤ ص ٢٢٧ - ٢٣٤) وطالب في عام ١٩٧٣ بكتلا الجزيرتين الكويتيتين يوبيان وعربه ، حتى « يمكن أن يكون العراق بذلك دولة من دول الخليج » (كيلي ١٩٨٠ ص ٢٨٣) .

والولايات المتحدة تأييدهما المشترك للحركة القومية الكردية في العراق وذلك بعد عقد اتفاقية الصداقة العراقية السوفيتية . وحاولت الولايات المتحدة ، كما اتضح فيما بعد من وثائق امريكية ، من خلال تأييدها للحركة القومية الكردية الضغط على النظام في العراق للحيلولة دون تقوية التحالف العراقي السوفيتي (تقرير بيك ٢٦ ، انظر ابراهيم ١٩٨٣ ص ٧١٩ - ٧٢٤) .

واشترك الجيش الايراني الى حد ما في حرب المقاومة اليسارية التي يساندها العراق في سلطنة عمان . في هذا الوقت كان اعتماد العراق على المعونات العسكرية السوفيتية في تزايد مستمر . ولم تستخدم اسلحة ومواد حربية سوفيتية فقط في الحرب ضد الحركة القومية الكردية بل اشترك ايضا مستشارون عسكريون وطيارون سوفيتي (زيم ١٩٨٠ ص ١٢) .

ورأى العراق نفسه مضطرا ، تحت الظروف المذكورة وتحت تأثير حركة المقاومة الكردية الجيدة العدة والعتاد (١٠٠ الف رجل) ، الى ابرام اتفاقية جديدة في الجزائر مع ايران في مارس ١٩٧٥ ، خضع فيها لمطالب ايران الجوهرية . واثرت هذه الاتفاقية ، التي ابرمت تحت ظروف تورط الدول العظمى الاقليمية ، على الوضع السياسي في المنطقة وادت الى قيام تحالفات جديدة . وابتعد العراق بعد ابرام الاتفاقية عن الاتحاد السوفيتي ، واقترب من ايران والدول العربية المحافظة وبخاصة المملكة العربية السعودية . وحجب تأييده عن حركة المقاومة في عمان ، وانتهج سياسة معتدلة في المنطقة . ووضح هذا التحول السياسي تصريح صدام حسين نائب الرئيس العراقي وقتذاك ، الذي يفيد بتقديم العراق معونات عاجلة للسعودية في حالة اي غزو سوفيتي (فريدمان ١٩٨١ ص ١٨٤) . وهكذا تم الفاء الائتلاف بين حزب البعث والحزب الشيوعي الموالي للسوفييت وانكشفت العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ، وازدهرت - على العكس من ذلك - التجارة مع الدول الغربية (فريدمان ١٩٨١ ص ١٧٦ ف ، انظر يودفات ١٩٨٣ ص ٨٧ ف ، ١٢٩) .

ومع ذلك لم يحدث تحول حقيقي في السياسة العراقية ، فالتنافس - مع ايران وبخاصة حول السيادة على الخليج ، كان الطابع المميز للعلاقة بين البلدين . فضلا عن ان العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة لم تكن قد استؤنفت بعد ، اما العلاقات مع الاتحاد السوفيتي فكانت ذات اهمية من بعد مثلما كانت من قبل . وادت اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية والسياسة العربية التي كانت موجهة ضد هذا الصلح المنفصل في النهاية الى عدم الاستقطاب في المنطقة بل ترتب على ذلك تورط اقليمي معقد ومتشعب للدول العظمى في المنطقة . نحاول في نهاية هذا الفصل تحليل سياسة الدول العظمى في هذا الوضع الجديد قبل اندلاع الحرب اليرانية العراقية .

ولم يؤد انتصار الثورة اليرانية الى تغيير الظروف السياسية في المنطقة فقط ، بل ادى ايضا الى وقف عملية التقارب التي كلفت مستمرة منذ عام ١٩٧٥ بين العراق وايران (ابراهيم ١٩٨٣ ص ٦٢٧ - ٦٣٠) . ونظرا لان النزاع العراقي الايراني يوصف دائما بأنه ايديولوجي بين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، فسوف نتناول فيما يلي هذين العاملين بوصفهما ظاهرتين مهمتين اقليميتين اشتركتا في تقرير هذا الحرب .

٢ - ٣ الوحدة العربية :

تعتبر القومية العربية التي سعت الى توحيد الامة العربية المقسمة الى دول عديدة - تعتبر هذه القومية ظاهرة حديثة نسبيا لم تتطور الا بعد الحرب العالمية الثانية . فقد وجه القوميون العرب المحدثون نظريتهم متأثرين بذلك بالمفهوم الاوربي « للامة » والدولة القومية - بصفة خاصة الى الامة العربية التي قسمها الاستعمار (انظر طيبي ١٩٧١ ص ٦٨ - ٨٤) .

ظهرت الفكرة القومية في آخر مراحل الدولة العثمانية . فقد جرى التفكير في اختراع قومية عثمانية على النمط الاوربي الحديث لتحويل انظار المجتمع الاسلامي الضعيف البنية الى وحدة جديدة . غير ان ازدهار وسيطرة القومية التركية في الدولة العثمانية دفعت العناصر الكردية والعربية الى الابتعاد . وتشكلت كرد فعل على هذه السيادة التركية التصورات والاهداف القومية العربية . ومن سخرية التاريخ ان يكون المنظرون الاوائل للمفهوم الفاشل للقومية العثمانية هم الذين اسسوا القومية العربية مثل الحصري (انظر كوثراسي ١٩٨١ ص ٧٨ ف) .

وتجدد بتأسيس حزب البعث الاشتراكي العربي في عام ١٩٤٧ - اول تعبير تنظيمي عن هذه الايديولوجية . وقد قدم هذا الحزب ، الذي تأسس في سوريا بمشاركة واضحة من عرب مسيحيين ، نفسه على انه منظمة عربية وحدوية وان كان له تنظيمان في بلاد عربية اخرى . وكان هدفه السياسي الانفصال ضد التقسيم الامبريالي للعالم العربي (انظر اسماعيل ١٩٨٣ ص ١١٠ ف ، انظر مفيزل عام ١٩٨١ ص ٣٦١ - ٣٨٣) .

وتأسست في ١٩٥٢ حركة عربية قومية اخرى وهي حركة القوميين العرب وانعقدت الجمعية التأسيسية لهذه الحركة في بيروت باشتراك عدد كبير من طلبة الجامعة الامريكية وكثير من المسيحيين (ومؤسسها د . جورج حبش) (انظر طيبي ١٩٧١) .

وبالرغم من ان كلا الحزبين العربيين الوحدويين تشكلا في بلاد عربية - خلفه ، وكونا منظمات في بعض البلاد (من بينها العراق ايضا) بالرغم من هذا نجد ان ايديولوجية القومية العربية لم تتطور الى فكرة لها اهمية اقليمية الا في عهد ناصر . فقد اعتمد ناصر - بوصفه زعيما لاكبر وأهم دولة

عربية ، في الصراع مع اسرائيل والدول الغربية - اعتمد ناصر على افكار وتصورات القومية العربية ، بالرغم من عدم توفر القاعدة الايديولوجية لذلك في مصر نفسها وكانت عناصر القومية العربية قد نشأت . حتى ذلك الحين في الدول العربية الشرقية بصفة خاصة . ولم تأخذ هذه الافكار شكلا اجتماعيا وايدولوجيا واضحا الا في عهد ناصر على هيئة مفهوم عربي للاشتراكية (ناصر ١٩٥٧ ، انظر خضوري ١٩٨٥ ، ص ١٧٤ - ١٨٠) .

وبرغم الصيغ والتصورات المختلفة لفكرة القومية العربية ، كانت كافة التنظيمات والاتجاهات المختلفة تتفق في النقاط التالية :

- حتمية الثورة العربية ، ازالة الحدود التي خلقتها الاستعمار بالاكراه ، واقامة امة عربية موحدة .

- مقاومة اسرائيل بوصفها دولة زرعها الغرب في قلب العالم العربي .

- اقامة نظام سياسي واجتماعي مستقل عن الغرب والشرق ، يأخذ الشكل الاشتراكي ، ويختلف عن النموذج الماركسي السوفيتي ببعض الخواص (غلق ١٩٦٢ ص ١٩٣ - ١٩٨ ، ص ٢٠٦ - ٢١١ ، انظر خضوري ١٨٥ ص ١٢٣ - ١٢٦) .

وهكذا اصبحت القومية العربية في الستينيات احدى الظواهر الهامة وأحد عوامل القوة في العالم العربي . ودفع تأثير القومية العربية على طبقات مثقفة وعسرية وبخاصة على اجزاء من الجيش ، دفع هذا حركات المقاومة لاعتلاء قمة السلطة . فقد استولى حزب البعث الاشتراكي العربي على السيادة في العراق في شهر فبراير ١٩٦٣ وفي مارس من العام ذاته استولى على السلطة في سوريا ، كما قامت في اليمن الجنوبي « الجبهة الوطنية لتحرير اليمن الجنوبي » (احدى فروع حركة القوميين العرب التي تكونت في بيروت) بحملة ضد السلطة الاستعمارية البريطانية ، واطاحت حركة التحرير الجزائرية تحت قيادة بن بيل عام ١٩٦٢ بالاستعمار الفرنسي بعد حرب استغرقت ثماني سنوات وابضاً بفضل الدعم الهائل من جانب ناصر .

وجدير بالذكر أن مصر في عهد عبد الناصر تولت القيادة في العالم العربي واصبحت فكرة القومية العربية هي الحافز الرئيسي في الحرب ضد اسرائيل وسهلت أيضا عملية التعبئة الجماهيرية في هذا الصراع . وقامت مصر بإرسال قوات إلى اليمن الشمالي لمساندة القوى الجمهورية في الحرب الاهلية ضد العناصر الملكية التي تساندها السعودية . واقامت مصر وسوريا جمهورية عربية متحدة في عام ١٩٥٧ . وادى النفوذ المتزايد لناصر في لبنان اثناء الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٥٨ الى نزول وحدات قوات امريكية (انظر خضوري ١٩٧٤ ص ١٨٠) .

ص ١٨٠ .

وابت القومية العربية كظاهرة جديدة تجاوزت الحدود اي قيام تحالفات اقليمية جديدة . فانقسم العالم العربي الى جبهة راديكالية ديناميكية بزعامة ناصر واخرى محافظة استاتيكية بزعامة السعودية والاردن ودون اخرى . وسرعان ما انفجر الصراع في نهاية الخمسينيات بين عامي انقوه الاقليمي الطامع وهو ايران بزعامة الشاه وبين القومية العربية بزعامة عبد الناصر حول هوية الخليج هل هو عربي أم فارسي - وأثر هذا البعد الاقليمي للنزاع على ميزان القوى الاقليمي للدولتين العظميين بل اثر على مصر القومية العربية نفسها .

وكانت أهم سمات الفكر القومي العربي في البداية هي العداء للشيوعية والاتحاد السوفيتي . وكانت الشيوعية تعتبر العدو الايديولوجي الرئيسي للاشتراكية العربية (خضوري ١٩٨٥ ص ١٦٤ - ١٦٦) . وعلى الجانب الآخر لم تكن المواجهة مع العالم الغربي حضارية وايدولوجية . ولم يعط القوميون العرب في محاربتهم للاستعمار والسيطرة السياسية الغربية ومطالبتهم بالاستقلال ، اهتماما كافيا للبعد الاقتصادي والحضاري للاستقلال ، بل انهم اعتبروا النموذج الغربي هو النموذج الاساسي للدول حديثة الاستقلال . على الرغم من المواجهة السياسية في الغرب ومقاومة وجوده . ويمكن ضعف ايدولوجية القومية العربية في غياب الوعي بشكل هذه الايدولوجية الامر الذي ساعد على فقدان القومية العربية لاهميتها في السبعينيات وعلى نهوض الاسلام .

واترت النتائج السياسية على موازين المنافسة بين الدول العظمى تأثر واسع المدى . ورأت القومية العربية التي داربت المستعمرات القديمة في اليمن الجنوبية والجزائر والنظم التي يؤيدها الغرب وكذلك اسرائيل التي يؤيدها الغرب أيضا رأت نفسها مضطرة مع الوقت ، برغم الموقف المناهض صراحة للشيوعية ، الى التحالف مع الاتحاد السوفيتي . وأصبحت القومية العربية بعد تأييد الاتحاد السوفيتي لمصر في حرب ١٩٥٦ - والتطورات الثورية في العراق وبعض دول عربية أخرى قناة النفوذ للاتحاد السوفيتي في الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الثانية . كما شكلت الانظمة القومية العربية في العراق وسوريا وأيضا في مصر في عهد ناصر التي كانت تقوم بقمع دوى المعارضة الموالية للسوفيت - شكلت هذه الانظمة تحالفا اقليميا مع الاتحاد السوفيتي موجها ضد الغرب .

ولم يكن هذا التحالف اختراقا لتحفظات القومية العربية المناهضة للشيوعية ، بل أيضا اختراقا للمقيدة الستالينية المناهضة للقومية في الايدولوجية السوفيتية . ولم يتوقف الجدل الايديولوجي الذي استغرق سنوات طويلة مع القومية العربية الا بتطبيق مبدأ خروشوف "معنى الذي

اعترف بالمضمون التقدمي والمناهض للاستعمار للايديولوجية القومية العربية
صانع ١٩٨٣ ص ١١٨ - ١١٩ ، انظر داويشا ١٩٨٢ ص ١٠ ف .

وثمة ركن هام في موضوعنا هو وضع الاسلام في مفهوم القومية العربية
وتختلف مواقف القومية العربية المختلفة من الاسلام اختلافا كبيرا . ونقد
اكد ناصر اهمية الاسلام بالنسبة للقومية العربية وارتباط الاسلام بالقومية
العربية (انظر ناصر ١٩٥٥ ، خضوري ١٩٨٥ ص ١٨١ ف ، ١٩٤) . ويعود
رأى ناصر الى النفوذ القوى للإسلام في بنية المجتمع المصري . غير ان حزب
البعث في العراق وسوريا اتخذوا موقفا متباعدا وناقدا للإسلام ولا يرجع ذلك
في المقام الاول الى تركيبة قيادة الحزب .

عموما كانت القومية العربية علمانية . وظهر ذلك من مثال حزب البعث
- وكانت هذه الايديولوجية تهدف الى فصل الدين عن السياسة ولا ترى في
الاسلام الا ارثا تاريخيا . فقد ساهم الاسلام في الواقع في تكوين الأمة العربية ،
مع انه مرفوض من وجهة النظر العصرية لانه عنصر محافظ ورجعي ولا يقدم
اي بديل سياسي واجتماعي (غلق ١٩٦٣ ص ١٢٢ - ١٢٦) ، انظر (زيادة
١٩٨١ ص ١١١ - ١١٨) . واصبح واضحا ان هناك حتمية للمواجهة بين هذا
المفهوم الايديولوجي وبعض التيارات الاسلامية .

وتدهور حزبا البعث في العراق وسوريا للصراع بين مراكز القوى المتنافسة
بعضها مع بعض ، كما انمحت الناصرية بموت مؤسسها في عهد السادات . وحاول
العراق استغلال عزلة مصر بعد اتفاقية السلام مع اسرائيل ، ليتولى قيادة العالم
العربي . وساعد في تنفيذ هذه المطالب السياسية عوائد البترول النخمة
وتدعيم القوة العسكرية وكذلك الطموح الشخصي للرئيس العراقي صدام حسين .
فالعراق يمثل - وفقا لفكرة عربية قومية قديمة - البوابة الشرقية للعالم
العربي ، التي تستطيع حماية الوحدة العربية من أي تهديد خارجي يأتيها من
دول غير عربية .

٢ - ٤ - الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية

نظرا لان مفهوم الوحدة الاسلامية مرتبط بالنهضة الاسلامية الحديثة وكذلك
بالثورة الاسلامية في ايران ودائما ما يعتبر ظاهرة أساسية في الحرب العراقية
الايرانية الحالية - وهذا سبب يؤدي دائما الى سوء التفاهم - أصبح من الضروري
شرح العلاقة ما بين الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية والثورة الاسلامية .

ويرجع مفهوم الوحدة الاسلامية الى المصلح الاسلامي جمال الدين الافغاني،
الذي أراد ان يضي بافكاره وحركته السياسية في نهاية القرن الماضي بعدا اسلاميا
جديدا على الدولة العثمانية التي تعرضت لاختراق غربي متعدد الجوانب فاقترح

الافغاني العديد من الاصلاحات بهدف استقلال البلاد الاسلامية عن النفوذ الغربي
وبهدف اتحاد الشعوب الاسلامية بحيث يتولى العرب بوصفهم اكبر شعب اسلامي
دور القيادة . وبرغم الصدى الواضح لهذا المفهوم - والذي لا يزال يؤثر الآن -
نجد ان ذلك لم يؤثر في مصير « الرجل المريض » . (عمارة ١٩٨٥ ص ٣١٣ -
٣١٦ ، انظر خضوري ١٩٨٠ ص ٧١ - ٧٧ ، انظر اقبال ١٩٨٥ ص ٨٧) .

ولم يؤثر المفهوم الاسلامي بعد انهيار الدولة العثمانية أدنى تأثير على
السياسة الموضوعية كما كان من الصعب ان يكون هذا المفهوم بديلا موضوعيا
للدول القومية . ولا يمكن النظر الى النهضة الاسلامية في السنوات الاخيرة الا
في الاطار المحدود لها لهذه الافكار التاريخية (انظر عمارة ١٩٨٥ ص ١٦٧ - ١٧٠) .

ولم يظهر في مرحلة ما بين نهاية الحرب العالمية الاولى (انهيار الدولة
العثمانية) ونهاية السبعينيات (ظهور « النهضة » الاسلامية العصرية الجديدة)
أي حركة اسلامية كبديل سياسي ، باستثناء (الاخوان المسلمون) . وحكمت
الدول الحديثة طبقات عصرية وقوى قومية (قومية عربية وقومية ايرانية وقومية
تركية) أهملت دور الاسلام كعامل سياسي .

ولكن المؤسسة الدينية وبعض جماعات اسلامية اخرى كانت تعترض على
السياسة العصرية التي تعترض على تدعيم الاسلام كبديل سياسي . غير أن
المنظمات الاسلامية ، مثل (الاخوان المسلمون في مصر) ، تصالحت مع الدولة
الحديثة منذ عام ١٩٢٨ وقصرت أنشطتها السياسية على تنفيذ الاصلاحات الاسلامية
داخل هذه الدول (انظر خضوري ١٩٨٥ ص ٨٨ - ٩٦) وتعد النهضة الاسلامية
اليوم تعبيرا عن المواجهة مع الحضارة الغربية ونتيجة لها . فهي تمثل حركة
تاريخية في جزء من العالم الثالث ، ينعكس عليه دائما الصراع بين الشمال
والجنوب الذي ينتهي دائما الى طريق مسدود . ولا يمكن تفسير النهضة
الاسلامية - كما تقدمها وسائل الاعلام الغربية خطأ ، على انها عودة الى الدين
بل انها تتضمن قبل كل شيء عوامل حضارية وسياسية متعددة . فالاستعمار
وما واكبه من تطور اجباري أدى الى اغتراب عميق وازمة اجتماعية متعددة
الجوانب في المجتمعات المستعمرة ومجتمعات ما بعد الاستعمار ، وتشكل هذه
الأمور الخلفية التاريخية للنهضة الاسلامية .

ودفع انهيار القومية - وبخاصة العربية - وكذلك البناء الضعيف والهش
للدول القومية الحديثة في الشرق وعدم كفاءة الطبقات الحاكمة في ضمان تطور
اجتماعي يتناسب مع ظروف مجتمعهم ، دفع هذا كله - بجانب عوامل أخرى
كثيرا من الناس وبخاصة الدوائر المثقفة للبحث عن بديل جديد في الاسلام
بوصفه نظاما اجتماعيا قائما منذ أكثر من ألف عام ويتطور باستمرار . ويمكن
نهم النهضة الاسلامية اذا وضعنا نصب أعيننا فشل عملية التحديث طبقا

للمنموذج الغربي (مثل تركيا ، وإيران في عهد الشاه) ، وفشل البدائل اليسارية التي حاولت فرض نموذج غريب على المجتمع دون مراعاة لتسايريه وحضارة وتقاليد البلاد .

وإذا كانت الثورة الإسلامية في إيران قد استفادت من طموحات النهضة الإسلامية في المنطقة فإنها لم تكن سببا بل رمزا لهذه النهضة . وبجانب الثورة الإيرانية يمكن رصد أحداث أخرى تشير إلى أن الإسلام أصبح عاملا سياسيا جوهريا في المنطقة (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٦ - ٨) :

- احتلال المسجد الحرام في مكة والتمرد في الاقليم الشرقي من السعودية .

- المقاومة الإسلامية ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان .

- الحركة الأصولية الإسلامية المسلحة ضد نظام البعث في سوريا .

- اغتيال الرئيس السادات وازدياد قوة التيارات الإسلامية في مصر بعد الاغتيال .

- النهضة الإسلامية في السودان وتطبيق الشريعة الإسلامية في هذا

البلد .

- الانتفاضات الشعبية في الجزائر وتونس والمغرب .

- اعتداءات بالقنابل في الكويت ومحاولات التخريب في البحرين .

- المقاومة الإسلامية والاعمال الانتحارية في لبنان ضد الاسرائيليين والقوات الفرنسية والأمريكية (ويكجيان ١٩٨٥ ص ٣) .

ورغم اختلاف هذه الأحداث نجد أن هناك شيئا واحدا يربط بينها وهو رفع راية الإسلام . ولقد أصبح الإسلام الأيديولوجية الرئيسية في العالم الإسلامي ، ومع ذلك لا يزال المصير السياسي لهذه النهضة الإسلامية الجديدة غامضا . فالنهضة الإسلامية نفسها ليست ظاهرة موحدة على الإطلاق فكثير من الاتجاهات الأصولية المتطرفة التي تسمى بمصير النهضة الإسلامية إلى طريق مسدود . ويجب مراعاة الجوانب التالية عند النظر إلى العلاقة بين القومية الإسلامية والنهضة الإسلامية والثورة الإسلامية في إيران :

(١) بالرغم من أن الهدف المعلن للحركة الإسلامية هو إقامة وحدة إسلامية نجد أن الحركات الإسلامية المختلفة مرتبطة بالحدود القومية والتبعية المذهبية . فغالبا المنظمات الإسلامية تطور أنشطتها في إطار التبعية القومية والمذهبية فقط ، مثل حزب الدعوة في العراق ، وجبهة التحرير الإسلامية في البحرين أو حركة الاتجاه الإسلامي في تونس . وهناك بعض

الجماعات ، في لبنان مثلا تقصر أنشطتها على جزء من البلد (ديكجيان ١٩٨٥ ص ١٢٧ - ١٢٩ - ١٤٩) . وتعد (الإخوان المسلمين) المنظمة الإسلامية الوحيدة التي انتشرت في بلاد متعددة . ولكن لا يوجد اتصال بين التنظيمات المتفرقة في مصر والأردن ودول أخرى ، الأمر الذي يتضح في الممارسات السياسية المختلفة . فهم يعتبرون وحدة العلم الإسلامي الهدف السياسي الوحيد ولكنه لا يوجد في جدول الأعمال : فليس لدى الإخوان المسلمين مفهوم إسلامي وحدوي حديث (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٨٥ - ٨٩) .

(ب) شهدت البلدان الإسلامية في الآونة الأخيرة خلافات قوية ، وأصبحت هذه الظاهرة تشكل الوجه السلبي للنهضة الإسلامية . فعلى حين اهتم الأزهر في وقت ما - بتثجيع من ناصر وبمساعدة رجال الدين الشيعيين في كل من إيران واليمن - بالتقريب بين التيارات المذهبية المختلفة ، أظهر نشاطا في هذا الصدد - نجد أنه لا يمكن ملاحظة مثل هذه المساعي في العشرين سنة الأخيرة (انظر شلتوت ١٩٨٤ ص ١٥ - ١٩) وحتى إيران ، بالرغم من ادعاءاتها الإسلامية على هذا المستوى لم تم بآية مبادرة ملموسة . بل أدت الاختلافات المذهبية - مثلما يحدث في لبنان - إلى مواجهات مذهبية - الأمر الذي جرد المثال الإيراني من جاذبيته للعالم الإسلامي .

ومن الجدير بالذكر أن حركة الوحدة الإسلامية التي دعا إليها الأفغان في سبتمبر القرن العشرين وجدت لها في مصر وبعض دول عربية أخرى ، وليس في إيران قاعدة (انظر عمارة ١٩٨٥ ص ٢٢٣ ف ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٢٠) . ويقف الطابع الشيعي للنظام الإسلامي في إيران في حد ذاته حائلا أمام أي مسعى للوحدة تحت قيادة شيعية . وينطبق ذلك أيضا على الشعارات الإيرانية التي تتحدث عن نشر الثورة الإسلامية وليس مفهوم الوحدة الإسلامية .

وتعتبر النظرية الإيرانية الخاصة « بولاية الفقيه » من التعاليم الشيعية البحتة ، التي ما زالت موضع خلافات حتى داخل الأوساط الدينية الشيعية نفسها وهذه النظرية ترفضها المدارس الدينية السنية (عمارة ١٩٨٥ ص ٢٣٩ - ٢٤٤ ، انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ٤٢ - ٤٦) . وقد ترتب على ذلك ضيق المجال الطبيعي « للثورة الإيرانية » غير أن النفوذ الإيراني قد يؤدي إلى زعزعة الوضع في البلاد التي بها أقليات شيعية ، مثل العراق والبحرين وبعض دول أخرى في الخليج أو يؤثر على تغير ميزان القوى في هذه البلاد بين الشيعة والسنة ، ولكن لا يمكن أن يؤدي إلى حدوث تحول جذري وأساسي أو حتى اتفاق إسلامي وحدوي مع إيران (انظر ديكجيان ١٩٨٥ ص ١٥٦ - ١٥٧) .

على الرغم من التوجه الايديولوجي الاسلامي لايران والتوجه القومي العربي للعراق ، نجد انه قد يكون غير كاف اعتبار النزاع العراقي الايراني تعبيرا عن صراع بين الوحدة الاسلامية والقومية العربية . وان كان هذا التشخيص يوجد في دعاية كلا البلدين ، ولكنه لا يصلح اطلاقا لتوضيح الاسباب الحقيقية للحرب ... ويقول آية الله خوميني .

« انكم تعرفون ان هذه الحرب بين ايران ونظام البعث العراقي عبارة عن حرب بين الاسلام والكفر ، بين القرآن والالحاد » . « يجب على الشعب الايراني ان يعرف انه يحارب لخدمة الاسلام . دافعنا هو مبادئ الاسلام . وما زالت تقاليد المناضلين المسلمين الاوائل باقية . لقد واجه النبي صعوبات جسيمة : ولكن بالرغم من ذلك قلوب . واود ان الفت نظر شعبنا الى ما يلي : ان القضية هنا تتعلق بالاسلام .. ونحن نناضل من اجل الاسلام وندافع عنه » . (رسالة الخوميني في ١٩٨٠/٩/٢٤) (٥) .

وتقول النظرية الايرانية الرسمية عن القومية :

« لا يمكن ان يكون طابع جمهورية ايران الاسلامية قوميا والا ما كانت اسلامية بعد ذلك ، لان الاسلام لا يعرف (الوطن) كمفهوم اسمي » ولكن الامة جميعا . والوطن مفهوم ادنى من الامة .. ان ايران دولة ذات شعوب متعددة . ويجب الا يرد على ذهن اي جماعة من هذه الشعوب انها تتمتع بأهمية اكبر من الاخرى » (اقبال ١٩٨٥) .

ويحدد النظام العراقي الاتجاه الديني لقيادته الاسلامية في تأكيده التوجه القومي بقوله :

« يفكر الخوميني بطريقة طائفية مذهبية عقيدية جامدة — ويرفض اما عن عدم معرفة او لجرد تغنت فكري مثل الامة والوطن ، التي لا تتعارض بأي حال من الاحوال مع النواحي الدينية » (اقبال ١٩٨٥) .

وما زالت هذه التصورات موضع جدل ولا يمكن الدفاع عنها علميا . ولا يوجد هناك داع لوصف نظام البعث العلماني بأنه كافر ، لأن الدستور العراقي يعترف بالاسلام كأساس ديني للدولة . وايضا اذا رفضت القيادة الايرانية مفهوم الوطن وحددت ايران بأنها دولة متعددة الشعوب على أساس « أمة » ، فلا تكون الجمهورية الاسلامية خالية من الطابع القومي . كما انه عند انتخابات الرئاسة عام ١٩٨٠ منع جلال فاريسي زعيم الحزب الجمهوري الاسلامي من الترشيح لأن والده من أصل أفغاني (ايتلات ١٩٨٠/١/٦) . وأرغمت الحرب القيادة الايرانية على تأكيد الطابع الاسلامي

(٥) مقتطفات من اقبال ١٩٨٥ ص ٨٥ .

للحرب فصلا عن طابعها الوطني ، لحث الجيش على الدفاع عن الوطن الاسلامي .

وجدير بالذكر انه منذ اندلاع الثورة حتى بداية الحرب قامت أجهرة الاعلام الايرانية بحملة دعائية قوية معادية للقومية ، غير انها لم تكن تعبيرا عن نزاع بين القومية الاسلامية والقومية العربية ، ولكن يمكن شرحها من خلال الاعتبارات التالية :

(ا) كان الاتجاه الاصولي يرمى بهذه الحملة الى هدف قومي قبل كل شيء ، أي استبعاد التيارات ذات الاتجاه القومي والوطني من خلال اضعاف قاعدتها الايديولوجية في اطار صراع السلطة . وكان هذا الصراع موجها بصفة خاصة ضد نفوذ الجبهة الوطنية تحت زعامة (د . سنجابي) وتيار (بازارجان) اول رئيس وزراء بعد الثورة ، الذي استندت ايديولوجياته على الاسلام وعلى التراث الوطني لمصدق (انظر بازارجان ١٩٨٠) .

(ب) ان تصريحات بى صدر وقطب زادة الموجهة ضد القومية العربية ، والتي قربت فيها القومية العربية من الصهيونية فيها يختص بالمجابهة السياسية لها علاقة بالعراق وبتخلف القومية الايرانية ، والمطالب الايرانية بخصوص العراق والبحرين ، تلك المطالب التي عادت مرة اخرى تحت ستار ايديولوجي جديد (٦) .

ولا يوجد هناك تبرير اسلامي متزن لهذا الرفض المتغنت للقومية . فالامة الاسلامية تعتبر نفسها — مثلما يتضح في النص المذكور اعلاه — كعصبة لشعوب مختلفة ، يعترف فيها بالانتماء لشعوب وعناصر مختلفة وبالكينونة القومية في اطار هذا المجتمع الاسلامي .

والنزاعات الايديولوجية ، التي يصفها الجانبان دائما بأنها السبب الرئيسي للنزاع ، أي السبب السياسي لهذه الحرب ، ما هي الا وسيلة للغرض . فإيران مهتمة باضعاف القاعدة الايديولوجية لنظام البعث ، أما العراق فمهتم بالحد من النفوذ الايراني لمنع حدوث انقلاب اسلامي مفاجيء . فقد حاولت جماعت الشعب الاسلامية الشيعية في العراق القيام باختبار للقوة مع الحكومة عن طريق القيام بمظاهرات في شهر فبراير عام ١٩٧٧ . وقد شجع انتصار الثورة الاسلامية في

(٦) تصريح مناهض للقومية العربية في صحيفة النهار الصادرة في ٧٩/١٢/٢٣ ، ٧٩/١٢/٢٥ وانظر ايضا صحيفة الوطن الصادرة في ١٥ ، ١٩٨٠/٣/٢٣ .

ايران هذه الحركة واصبحت تمثل خطرا جسيما للنظام العراقي (انظر ديكيميان ١٩٨٥ ص ١٢١ - ١٢٦) .

٢ - ٥ - الدول العظمى والدول في المنطقة :

الاستقلال وسياسة التحالف وعدم الاستقطاب :

اصبح الشرق الاوسط يتمتع بأهمية بالغة في النظام السياسي الدولي وفي سياسة الدول العظمى . ولعل العامل الحاسم في ذلك هو البترول بوصف مادة حيوية بالنسبة للدول الصناعية والوضع الاستراتيجي للمنطقة . وقد تعرض الشرق الاوسط لضغط شديد في الصراع بين الدول العظمى (الفورد ١٩٨٢ ص ١٤٥) .

هذا وتبلورت اشكال جديدة لوجود الدول العظمى بعد انهيار دول - الاستعمار والوصاية . وأدى اعتماد النظام الاقتصادي المحلي على النظام الاقتصادي العالي بعد الحصول على الاستقلال السياسي الى تبعيات جديدة ويشهد الوجود العسكري (وحدات اساطيل ، قواعد عسكرية ، حق الاستفادة من الموانئ .. الخ) بأهمية المنطقة في الاستراتيجية الكونية لكلا الدولتين العظميين (انظر خوبين ١٩٨٠ ص ١٢٤ - ١٢٩) ، اللتين تريان أن النفوذ السيلسي في الخليج هو قبل كل شيء مفتاح التحكم السياسي في أوروبا . وهكذا يمكن الاعتراف بأهمية بترول الخليج في استراتيجية الدول العظمى (ستاؤول ١٩٨٢ ص ٩٧ ف) .

تساعد الصراعات المتعددة والمعقدة المتشابكة بين الدول الاقليمية والدول المجاورة دائما على تدخل الدول العظمى وزيادة نفوذها . ولعل النزاع الاسرائيلي العربي هو السبب الرئيسي في وجود الدول العظمى وكذلك في استقطاب الصراعات (انظر بنزل ١٩٨٥ ص ٧٧ - ٨٠) . وقد أدت الصراعات الدائرة بين كل من ايران والعراق/العراق وسوريا/اليمن الشمالية واليمن الجنوبية/الجزائر والمغرب/الصومال وأثيوبيا/وتشاد وليبيا/وليبيا والسودان/وايبيا ومصر الى تقوية وجود الدول العظمى الذي انعكس على الصراعات المختلفة ، حيث تميزت النزاعات الحديثة باستقطاب تأيل الوضع لأطراف النزاع وتعدد وتبدل مواقف أطراف الصراع من الدول العظمى .

وأدت هذه النزاعات وكذلك الارتفاع الهائل لعوائد البترول الى تدعيم الطاقة التسليحية مما أدى بالتالي الى عسكرة الصراعات والاعتماد المتزايد لكل طرف على إحدى الدولتين العظميين في المجال العسكري . وحاول العراق بعد ابتعاده عن الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٥ البحث عن مصادر جديدة للتسلح للحد من هذا الاعتماد (اتجه العراق الى فرنسا) : وهناك دول

أخرى وضعت حدا لعلاقات التبعية للدول الأخرى ، حيث حصلت على أسلحتها بطريق غير مباشر عبر دول ثنائية وثالثة دون موافقة رسمية من الدول العظمى المتحالفة معها . وقامت مصر بتوريد أسلحة للعراق من الصين ، واستوردت ايران أسلحة أمريكية من كوريا الجنوبية ، وبباكستان وايضا اسرائيل (تقرير مريب رقم ١٢٦/١٢٥ ، ٤٠ ، انظر الجدول في الملحق) .

تميزت السبعينيات بظاهرة سيبلسية جديدة - وهي الازدهار العسكري والاقتصادي للمنطقة ، الذي كانت له آثاره أيضا على ميزان القوى الاقليمي وكذلك على العلاقات مع الدول العظمى . وتعد مصر واسرائيل والسعودية وايران والعراق دولا طموحة اقتصاديا وعسكريا ، بدأت تنعب دورا اقليميا وزادت لديها نزاعات السيطرة الاقليمية ، كان هذا الوضع سائدا في عهد ناصر ويسمى مبارك خليفة السادات للقيام بهذا الدور مرة أخرى . وكانت ايران تحلم في عهد الشاه ان تكون « خامس دولة في العالم » . ويبدو ان جمهوريه ايران الاسلامية حققت مطامعها في السيطرة الاقليمية والسلطة . وحاول العراق على العكس من ذلك في بداية الحرب ، ان يظهر كدولة اقليمية مهيمنة (انظر ايوبى/خيلي ١٩٨٣ ، ص ١٤٩ - ١٥٤) . وتسمى سوريا ، التي تعتمد على رأس المال السعودي والمعونات العسكرية السوفيتية الى استغلال الحرب للقيام بالدور الذي يصبو اليه العراق .

أدى نهوض الدول الاقليمية والقوى المحلية والتغيرات الجوهرية في علاقة الدول العظمى بعضها مع بعض . الى تحول في العلاقات بين المنطقة والدول العظمى . وباستثناء ما تسمى بجهة الرفض والصمود (اليمن الجنوبي والجزائر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التي تتعاون في الآونة الأخيرة مع ايران أيضا ، لم يعد يوجد محور مستقر ومتحالف مع إحدى الدول العظمى . وحتى جبهة الرفض - التي تتخذ طابعا مناهضا لأمريكا - تفكر في الابتعاد نسبيا عن الاتحاد السوفيتي . ولا تتخذ علاقة الدول المشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي صورة موحدة بل بالعكس صورة متباينة تماما (انظر رايت ١٩٨٢ ص ١٨٥ - ١٨٨) .

ان تسلسل الدول العظمى متنوع ويتخطى الحدود والحوافز الايديولوجية والتقليدية : فالولايات المتحدة تقيم علاقات وطيدة مع الجزائر ، كما ان الاتحاد السوفيتي يورد مواد حربية الى الاردن ويرسل مستشاريه العسكريين الى الكويت . ومن المحتمل ان يتدعم وجود الاتحاد السوفيتي في دول الخليج في اعقاب حرب الخليج (يودفات ١٩٨٣ ص ١٢٤ - ١٢٦) .

ويتعارض الوضع الراهن مع اتجاهات الاستقطاب . ونم يعد في امكان أي دولة عظمى اليوم ارغام حافاتها على تسوية نزاعاتها لصالح إحدى الحلفاء ، مثلما فعلت بريطانيا عام ١٩٣٧ و ١٩٥٤ . ولكن النزاع العربي

الإسرائيلي هو الوحيد الذي مازال موضع استقطاب الدول العظمى ، بالرغم من انها فقدت أهميتها هنا . فقد كان يكفى في عام ١٩٥٦ صدور بيان أمريكي سوفيتي لانتهاء الحرب ، أما في عام ١٩٧٣ فقد كان لزاما على وزير الخارجية الأمريكي أرغام الأطراف المعنية على تقديم تنازلات في مهمة مكوكية . ولقد أسفرت جهود القمة التي بذلت من أجل تسوية في النزاع العربي الإسرائيلي عن اتفاقية كامب ديفيد بين إسرائيل ومصر وتحت مظلة الولايات المتحدة ولكن النتائج قليلة وادت في النهاية الى طريق مسدود .

ويواجه الاتحاد السوفيتي مشكلة التوتر بين حليفه العراق وسوريا ، وهما ليسا مستعدين لاي تعاون . كما ان السياسة الاقليمية التي تنتهجها كلتا الدولتين الموالتين للغرب والحليفيتين للولايات المتحدة مصر والسعودية متناقضة تماما .

وبالرغم من تدويل الصراعات الاقليمية والمحلية وتورط الدول العظمى في هذه الصراعات ، نجد انه لم يعد في امكان الدول العظمى السيطرة عليها . وكانت النزاعات الاقليمية قبل اندلاع الحرب الايرانية العراقية تحدث تحت نفس الظروف المذكورة اعلاه . فالحرب نفسها تؤدي الى تخفيف الاستقطاب .

وفسرت الاتفاقية الايرانية العراقية لعام ١٩٧٥ بوجه عام على انها خطوة من العراق في اتجاه الغرب . وبالرغم من ذلك رحب الاتحاد السوفيتي بهذه الاتفاقية مبدئيا (البرافدا في ٧٥/٤/١٧) وكان العراق هو الحليف الوحيد للاتحاد السوفيتي في الخليج وكان الاتحاد السوفيتي يمني نفسه بالوصول من خلال الاتفاقية الى الخليج عبر العراق . وعلى الرغم من القمع الذي حدث للحزب الشيوعي العراقي الموالي للسوفييت فيما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٨ وتكثيف العراق لعلاقاته التجارية مع الدول الغربية ، وبخاصة مع فرنسا تلك العلاقات التي واجهت نقدا عنيفا من الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي - على الرغم من هذا نجد ان الاتحاد السوفيتي تمكن من تدعيم مركزه وبخاصة من خلال وجوده العسكري (ورلد ماركسيست ديفيو في ١٩٧٦/٨/٨) . كما استؤنفت اعمال التوسيع في ميناء « ام قصر » العراقي ، الذي كان مفتوحا ايضا امام البحرية السوفيتية (يودفات ١٩٨٤ ص ٣٩ ، انظر هوبل ١٩٨٢ ص ٢٦) .

وصرح طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي لتبرير الوجود السوفيتي في العراق ، الذي انتقده الكثيرون في دول الخليج ، قائلا : « قالت بعض الدول الساحلية بأنه لا يجب أن تكون لدينا هنا بحرية أمريكية أو سوفيتية ، ونحن ضد ذلك لأنها كانت وسيلة لبقاء النفوذ الأمريكي وابعاد السوفيتي . ان الأمريكيين موجودون من قبل .. من الذي يعرض أمن الخليج للخطر ؟ نحن لا نرى خطرا

حاليا ، والاكثر أهمية من ذلك هي حرية الملاحة في الخليج » . (خوين ١٩٨٠ ص ٢٢) .

وفي الفترة التي تقارب فيها العراق من السعودية ادلى الرئيس العراقي صدام حسين بتصريحه الشهير ، « سندافع عن السعودية في حالة ما اذا اراد الاتحاد السوفيتي احتلالها » . (الصحافة العراقية ٧٩/٤/١٩) ، وذكر بعض المراقبين انذاك أن ١٦ ألف خبير سوفيتي يتركزون في العراق (٧) .

ويجب النظر الى بيان الرئيس العراقي في ضوء الانقلاب الموالي للسوفييت في افغانستان ، الذي اثار الخوف لدى القيادة العراقية من حدوث تغييرات في بلاده (غريدمان ١٩٨١ ص ١٧٠) . وبرغم الابتعاد الواضح عن الاتحاد السوفيتي واستبعاد الحزب الشيوعي ، نجد انه ساد هدوء بين الاتحاد السوفيتي والعراق الذي اعتمد كما هو الحال من قبل على التأييد السوفيتي لتحقيق سياسته الاقليمية . وقام العراق في عام ١٩٧٨ بمبادرة لعقد قمة عربية في بغداد كرد فعل على اتفاقية كامب ديفيد ، ورحب الاتحاد السوفيتي بذلك (نيويورك تايمز في ١٩٧٨/١١/٢٥) . وكان لبغداد وموسكو اهداف سياسية مختلفة برغم ادانتهم المشتركة لاتفاقية كامب ديفيد : فالنظام العراقي الذي كان قد أوشك على التخلص - بحرص - من تحالفه مع الاتحاد السوفيتي ، لم ينضم لجبهة الرفض التي كان يؤيدها الاتحاد السوفيتي ، لانه كان يهتم قبل شيء بتكوين جبهة موحدة مضادة لمصر تشترك فيها السعودية والدول العربية الاخرى المحاذية كما كان مهتما بالقيام بدور معتدل ولكن ليس انطلاقا من علاقاته الوثيقة مع غرب اوربا والسعودية . ولم تسفر محاولات الوساطة التي قام بها كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي في جولاته الى دمشق وبغداد عن أية نتائج (غريدمان ١٩٨١ ص ٢٤) .

وخلق انتصار الثورة الايرانية وما ترتب عليه من تهديد للعراق ودول الخليج وضعا جديدا . مما دعا الرئيس العراقي صدام حسين أن يقترح على الدول المعنية ميثاقا للدفاع المشترك وعدم الاعتداء . وكانت أهم نقاطه : ضد وجود اندول العظمى ورفض منح القواعد العسكرية لقوات الدول العظمى ، واتخاذ الاجراءات المشتركة ضد أي هجوم ليس عربي . ومن الواضح ان التصريح كان موجها ضد ايران وانه عمل تمهيدى لشن حرب .

وثمة جانب اضافي جدير بالتنويه في موضوعنا يتعلق بالضعف الملفت للنظر الذي لحق بالمنظمات الاقليمية التي قويت من خلال الحرب الايرانية العراقية . فالجامعة العربية ومنظمة الأوبك ومنظمة الدول الاسلامية كانت تشكل في السبعينيات منظمات اقليمية وما فوق الاقليمية وتمثل مصالح دول العالم الثالث

(٧) انظر الأفرواسيوية رقم ٧٢ في ١٩٧٩/١/٢٢ .

المشتركة وتمكنت الى حد ما من الحد من نفوذ الدول العظمى . وانطلاقاً من ذلك تكونت قاعدة لحل المشكلات وتسوية النزاعات العربية الداخلية . غير ان الجماعة العربية اخذت تفقد اهميتها باستمرار : اذ ان مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى دعت اليه جامعة الدول العربية لم يتمكن من الانعقاد طوال اسابيع طويلة اثناء الغزو الاسرائيلى للبنان . ولم يمكن تنفيذ الخطط التى وضعها مؤتمر وزراء الخارجية وقاء قمة الدول العربية لحل أزمة الشرق الاوسط ولانتهاء النزاعات العربية الداخلية (انظر دافيشا ص ٦٥ - ٦٨ ، جانسين ١٩٨٤ ص ٨١ - ٨٢) .

كذلك فقدت منظمة الأوبك بعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية والخلافات الايرانية السعودية في سياسة البترول وظيفتها كهيئة متكاملة . ولكنها سهلت بعد عام ١٩٧٥ في الجزائر ابرام اتفاقية ايرانية عراقية ، الا انها هى نفسها أصبحت موطناً للنزاعات والتوترات .

كما ضعفت منظمة الدول الاسلامية نتيجة للتوترات الداخلية في الاتجاهات الانقسامية . وتجلى عدم اهميتها المتزايد في فشل جهودها من أجل التوصل الى حل سلمى للحرب الايرانية العراقية .

السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية

لم يكن التطور الداخلى وآليات النظام الاسلامى ولا سياسة ايران الخارجية - امراً سهلاً الفهم بالنسبة للعالم بأسره في الست سنوات الماضية وظلت خلافات النظام الجديد مع الدول العظمى والدول المجاورة والتى أدت في فترة محددة الى عزلة ايران - امراً محيراً بالنسبة لكثير من الدول . وكانت هناك محاولة لارجاع اسباب الخلافات غير المفهومة اما الى الفوضى التى اعقبت انتصار الثورة مباشرة او الى عجز الصفوة القيادية الدينيه على التعامل مع القواعد الحديثة للسياسة الدولية . وبالتأكيد كانت فترة الفوضى والصراعات داخل الأجنحة مسئولة عن السياسة غير المستقرة والمتغيرة . بيد ان السلسلة الخارجية الايرانية تستند على مفهوم سياسى بنى على بعض المبادئ الاسلامية المحددة . ونحاول في هذا الفصل تحليل هذه المبادئ وتقسيم السياسة الخارجية الايرانية الى مراحل هامة .

ربما تعتبر السياسة الخارجية الايرانية محيرة بالنسبة لاي مراقب نظراً لانها غالباً ما تمثل في آن واحد آراء سياسية مختلفة لمراكز قوى مختلفة . وبدون تشخيص مراكز القوى هذه لا يمكن تحديد الملامح الاساسية للسياسة الخارجية الايرانية كما لن يكون من الممكن كشف متناقضاتها .

ونظراً لأن مصالح سياسة خارجية محددة قد ساعدت على اندلاع الحرب الايرانية العراقية ونظراً لان العلاقات الايرانية مع العالم الخارجى يغلب عليها طابع الحرب نجد استعراض ملامح السياسة الخارجية لايران امراً لا مناص منه في عملنا هذا .

وكانت السياسة الخارجية لنظام الحكم القديم نواة للدعوية الاسلامية وللتنبئة ضد حكم الشاه الذى كان اعتماده على الولايات المتحدة ودوره « كشرطى اقليمى » علاوة على علاقاته مع اسرائيل وجنوب افريقيا وشكل ذلك محور بيانات الخمينى ابتداءً من علم ١٩٦٣ حتى قيام الثورة في عام ٧٩ . (الخمينى ١٩٧٩ ، ٣٣ ، ٥٧ ثم ٧١ - ٧٥ ، ١١٥ - ١٢١ ، ٢٠٥ - ٢٢٠) . ولعبت السياسة الخارجية دوراً هاماً في الخلافات الداخلية بعد نجاح الثورة أيضاً ، كما كانت لها أهمية خاصة بالنسبة لازدهار وفشل الجماعات والاتجاهات السياسية .

وكان منصب وزير الخارجية موضوعاً للصراع منذ بداية الثورة الايرانية وكثيراً ما تعرض للتغيير أكثر مما كان يتعرض له أى منصب وزارى آخر (فقد اعتلى هذا المنصب خمسة وزراء خارجية في غضون السنتين الأوليين كما ظل شاغراً على مدى عام كامل) .

وأعلن النظام في بياناته الأولى عن سياسة خارجية مضادة تماماً للشاه وكانت المبادئ الجديدة هى الاستقلال وعدم الانحياز النشط والسعى الجاد نحو تحقيق الوحدة الاسلامية (اطلاعات ٧٩٠٢٠١٤) (١) . وحدد منظرو الثورة الايرانية المبادئ الاساسية للسياسة الخارجية الجديدة بأنها « توازن سلبى (صبحار ١٩٨٠ - ٢٨) ويستحق هذا المفهوم الجديد دراسة دقيقة وسنحاول عرض أسس السياسة الخارجية الجديدة وخطوطها العريضة من الوجهة النظرية للنظام الجديد .

١ - الاساس التاريخى :

تحولت ايران في فترة حكم الكيراستشية (١٧٩٥ - ١٩٢٥) الى دولة ضعيفة متقسمة شبه مستعمرة (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٠ - ٢٢) . وقسمت كلتا الدولتين الاوروبيتين المتنافستين بريطانيا وروسيا / ايران الى مناطق نفوذ الامر الذى أدى الى عملية نهب منتظمة لهذا البلد (بنى صدر ١٩٧٧ ، ٥٩ - ٦٣) . وأصبح الاقتصاد الايرانى والدولة الايرانية في حالة اعتقاد

(١) أول بيان حكومى لرئيس الوزراء مهدي بازرگان الذى أعلنه في ١٩٧٩/٢/١٣ وكذلك أيضاً أول مشروع لوضع مفهوم ايرانى جديد (المقدمة) .

كامل على العالم الخارجى بسبب اعباء الديون المتنامية والتنازلات المسفرة التى كانت تقدمها ايران للدولتين العظميين . وتم تثبيت عملية تقسيم البلاد الى مناطق نفوذ كتابة في معاهدة بريطانية روسية صدرت عام ١٩٠٧ (يودفات ١٩٨٤ ، ٦ - ٨ ، هورفيتس ١٩٥٦ ثم ٢٢٦) . ولم تقسم الدولتان العظميان المصادر الاقتصادية والطبيعية فقط بل اخضعتا ايضا اعضاء الاسرة الحاكمة لتبعيتهما .

وقد عمل مركز القوة هذا ، الذى كان في الواقع عاجزا ازاء مراكز القوى المحلية - على تأمين وجوده فيما بعد عن طريق مساندة الدولتين الاوروبيتين (بنى صدر ١٩٧٧ ثم ٥٦) ومحاولات الاستقلال المختلفة التى حدثت من جانب بعض رجال من الدولة الايرانيين مثل الامير كبير فى الاربعينيات من القرن التاسع عشر . هذه المحاولات الاستقلالية تحطمت على صخرة التعاون بين الدولتين العظميتين وحليفهما الشاه الذى كان لا حول له ولا قوة (بنى صدر ١٩٨٠ ، ١٧٦٠ ، بروكلمان ، ١٩٧٧ ، ٦٦٤) . وكانت اسرة الكايارن تسيطر على مبدأ « التوازن الايجابى » فى السياسة الخارجية اى قيام علاقة متوازنة مع الدولتين العظميتين مما كان يعنى فى نهاية المطاف تحقيقا لمصالح الدول الكبرى . وقد ادى هذا الوضع الى خلق مواقف كان على ايران الخضوع فيها بتقديم تنازلات لتلك الدولة والتسليم بمطالب الدولة العظمى الاخرى بالتالى (صبحار ١٩٨٠ ، ٢٧ ، بروكلمان ١٩٧٧ ، ثم ٦٨٠) . وقد فشلت فشلا ذريعا محاولتان قبل الحربين العالميتين الاولى والثانية للتخلص من هذا الوضع الجديد وذلك عن طريق الاتجاه الى دولة عظمى ثالثة وهى المانيا (ايفانوف ١٩٧٨ ، ٦١ - ٦٤ ، ١١١ - ١١٤ ، الطبرى الاولى ١٩٧٧ ، ١٤٨) .

ويتحدد البديل الاسلامى لهذه السياسة - « مبدأ التوازن السلبي » فى العلاقات مع القوى العظمى المتنافسة ، برفض اية تبعية واية تنازلات وهكذا تم تحييد الدول الكبرى وتأمين استقلال ايران . وقد وضع هذه النظرية فى العشرينيات علماء الدين المسلمون والسياسيون النشطون وهما حسن موداريس والدكتور مصدق (الذى كان رئيسا للوزراء فى الفترة ما بين ١٩٥١ حتى ١٩٥٣) وصاغها ايضا قبل وبعد الثورة الاسلامية المنظرون الاسلاميون المحدثون مثل بنى صدر (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٨ - ١٣٠) .

ب - الاساس الاسلامى :

اعتمد منظرو الحركة الاسلامية تجارب النبي محمد عند بداية نشر الاسلام . فقد واجهت الدولة الاسلامية المغيرة آنذاك دولتين كبيرتين وهما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية اللتان كانتا تتنافسان على السيطرة على العالم القديم . ولم يكن الاسلام مستعدا ولا راغبا فى تقديم

تنازلات او الانحياز لاي من الامبراطوريتين وبذلك استطاع تحييدهما واخيرا اخضاعهما . ولابد ان تكون هذه التجربة التاريخية قد ساعدت فى تشكيل سياسة ايران تجاه الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى (بنى صدر ١٩٧٧ ، ١٢٦ ، بنى صدر ١٩٧٩ ، ٩٠) .

ج - الاساس الاستراتيجى :

ولا تعتبر ايران دولة كبيرة فحسب بل تحظى ايضا باهمية استراتيجية ففى معنى مشتركة مع الاتحاد السوفيتى فى خط حدود يبلغ طوله ٢٥٠٠ كم علاوة على ان موقعها على الخليج وعلى المحيط الهندى جعلها تتعرض دائما فى العصر الحديث لضغط عنيف من الخارج . فكثيرا ما كانت الدول العظمى تتدخل فى الصراعات الداخلية ومساندة ثورات محلية وبذلك اجبرت الحكومة المركزية على الركوع ووصل الامر الى حد الغزو المباشر لايران . وفى الفترة ما بين عامى ١٩١٨ و ١٩٢٠ استخدمت بريطانيا ايران كمعبر لقواتها المساعدة للمقاومة المناهضة للسوفييت (فخراى ١٩٧٢ ، ٢٢) وكانت المعاهدة الايرانية السوفيتية نتيجة لهذه الواقعة وهى تلزم ايران بطرد اى قوات اجنبية من اراضيها كما تازمها ايضا بتعقب الانشطة المناهضة للسوفييت . بل واكثر من ذلك تسمح هذه المعاهدة للاتحاد السوفيتى بحق مرابطة بعض قواته فى ايران فى حالة وقوع اى استفزازات للاتحاد السوفيتى (يودفات ١٩٨٤ ، ١٣) . هذا قد اضعفت هذه المعاهدة شرعية على الغزو السوفيتى الامريكى عام ١٩٤١ وذلك لاحباط الخطط الحربية للرايخ الثالث ضد الاتحاد السوفيتى (يودفات ١٩٨٤ ، ثم ١٧٦) وتنازل نظام الشاه فيما بعد على الاقل عن الحياد النظرى وانضم فى الخمسينيات الى الحلفاء الغربيين المناهضين للسوفييت .

ولم يكن أمام الجمهورية الاسلامية الا طريق واحد للتخلص من هذا المازق التاريخى الذى كان سببا للتبعيات المتغيرة وهو استقلال ايران وعدم الانحياز الايجابى والفعال ، وبهذا الطريق ايضا يمكن ضمان بقاء الدولة بعيدة عن نفوذ القوى العظمى نسبيا . ويمكن تحقيق هذا الهدف اعتمادا على مبدأ « التوازن السلبي » .

٣ - ١ - اسس السياسة الخارجية :

تحدد الوثائق الدبلوماسية والبيانات الرسمية التى صدرت لدى قيام الجمهورية الاسلامية اسس السياسة الخارجية الايرانية على النحو التالى (٢) .

(٢) دستور الجمهورية الاسلامية لايران الفقرة ١٥٢ - ١٥٥ ، بيان الحكومة الذى صدر فى ١٣/٢/١٩٧٩ ، خطاب رئيس الوزراء الايرانى أمام مجلس الامن فى ١٨/١٠/١٩٨٠ .

(أ) إقامة علاقات مع جميع الدول على أساس التعايش السلمي والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ورفض أية معاهدات غير متساوية أو تتعارض مع سيادة استقلال الدولة .

(ب) رفض الاشتراك في سياسة التحالفات وعدم الاشتراك في أي حلف مع الدول العظمى .

(ج) لا — للشرق ولا للغرب من أجل جمهورية إسلامية .

(د) الهدف الأساسي لسياسة إيران الخارجية هو تعاون وتوحيد جميع الشعوب الإسلامية والسعي لوحدة سياسية واقتصادية وثقافية في العالم الإسلامي . يجب على الثورة الإسلامية مساعدة الدول الأخرى للتحرر والعالم للاتفاق .

(هـ) مساعدة كفاح المستضعفين ضد الأنظمة الديكتاتورية . وتتعدى اهتمامات الثورة الإسلامية بذلك الساحة الإسلامية وتقسم العالم إلى مستضعفين ومستكبرين (كما تتضامن مع شعوب مستضعفة غير إسلامية) مثل الهنود والأمريكيون السود .. الخ (الدستور فقرة ١٥٤) .

(و) نشر مبادئ الثورة الإسلامية الحقيقية في العالم بأسره وحماية العقيدة الإسلامية من الانحراف أو التبديل (انظر الدستور — فقرة ٣) . تعلن الجمهورية الإسلامية تحدى إسلامها الثوري كعامل نضالي ضد الإسلام التقليدي متحدية بالتالي الأمراء التقليديين الحاكمين للدولة الإسلامية .

ولم يتضمن أول مشروع للدستور الإسلامي الإيراني أية فقرة محددة عن عدم الانحياز بل أضيفت هذه الفقرة فيما بعد في تبديل الدستور . كما أضافت بعض العناصر الراديكالية إلى مقدمة الدستور أن الهدف البعيد للثورة الإسلامية هو إقامة دولة عالمية موحدة (أي أمة) ، (الدستور المقدمة . صبحار ١٩٨٠ ، ٣٤) .

إن ثمة تناقضا قائما بالفعل في الدستور وفي بعض الوثائق الأخرى التي تتعرض للمبادئ الخاصة بالسياسة الخارجية والتي كانت تكن فيها الخلافات التي ظهرت فيما بعد . فلا يتفق مبدأ مساندة الشعوب المستضعفة ومبدأ نشر المبادئ الإسلامية الحقيقية مع المطالبة بالتعايش السلمي ، كما أن مساندة الحركات الإسلامية المعارضة تتناقض مع مبدأ التعاون مع الحكومات التي تعمل ضد مصالح الدول العظمى وقد أدت هذه التناقضات في السياسة الخارجية إلى خلق أزمات وخلافات دبلوماسية .

وقد ظهر هذا الاشكال — أي التناقض بين البرنامج الرسمي وبين السياسة الفعلية — في دول أخرى أيضا حيث كلن يتضح — بعد قيام ثورة

فناجحة — الاهتمام بنشر أفكار الثورة السياسية ولكن كان الاتصال المباشر بدول وبأنظمة أخرى كثيرا ما يؤدي إلى تصحيح الموقف السياسي الخارجي . (وعلى سبيل المثال الوضع في روسيا بعد قيام الثورة البلشفية ، دجراس ١٩٥١ ، ٢٦) .

٢ - ٣ - التحول الإسلامي في السياسة الخارجية :

تختلف السياسة الخارجية الإيرانية للجمهورية الإسلامية تماما مع السياسة الخارجية لنظام الحكم القديم وتتبنى آراء بديلة على جميع المستويات تقريبا . فعلى الرغم من احتفاظ إيران بعلاقات اقتصادية طيبة مع الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية منذ الستينيات (للتعاون في صناعة الصلب وتصدير الغاز الإيراني) (انظر هويل ١٩٨٢ ، ثم ٢٠) استمرت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على المجالات السياسية والاستراتيجية والأمنية السياسية . هذا وكانت العلاقات مع الدول العربية قد وصلت إلى أدنى مستوى أثناء حكم الشاه (هليداي ١٩٧٥ ، ١١١) .

ودخلت السياسة الإيرانية القديمة للشاه — خاصة بعد ازدهار القومية العربية في عهد ناصر في الستينيات — في صراع مع السياسة القومية العربية وقد اقتضت العلاقات الإيرانية العربية على ممالك المغرب والأردن وسلطنة عمان حيث كانت قوات الشاه تقوم بالدفاع عن الحكم المحافظ ضد عدوه اليساري الراديكالي كما اقتضت تلك العلاقات أيضا على مصر قبل وبعد حكم ناصر . وعلى الرغم من المصالح المشتركة ضد انتيارات الراديكالية في المنطقة نجد أن اطماع الهيمنة الإيرانية دأبت على خلق التوتر مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج . وفي محيط النزاع العربي الإسرائيلي أقام شاه علاقات مكثفة مع إسرائيل كما أدلى بصوته في الأمم المتحدة ضد الاعتراف بمنظم التحرير الفلسطينية وضد ادانة هجومين إسرائيليين على جنوب لبنان .

وكانت النشاطات الإيرانية داخل منظمة الدول الإسلامية تهدف أساسا بالتعاون مع تركيا وباكستان ومع بعض الدول الأخرى — إلى تكوين تحالف مناهض للاتحاد السوفيتي — وبررت إيران موقفها المناهض للشوعية بالسلام كما أقامت علاقات مكثفة مع جنوب أفريقيا واثيوبيا في عهد هيلاسيلاسي .

وغيرت عملية الاطاحة بنظام الشاه من موازين القوى الإقليمية التي تحولت الآن لصالح الاتحاد السوفيتي والقوى الإقليمية المناهضة للأمريكيين وفقدت الولايات المتحدة الأمريكية بضربة واحدة منطقة نفوذ هامة تمتد على طول ٢٥٠٠ كم من الحدود الإيرانية السوفيتية كانت عليها محطات مراقبة ومحطات ردار . كما أدت الاطاحة بالشاه أيضا إلى اهتزاز حلف السنتو (الذي كان حزب بغداد حتى قيام الثورة العراقية ، بونتسل ١٩٧٩ ، ٢) ووضعت

الجمهورية الإسلامية الجديدة مفهوما جديدا لعدم الانحياز والاستقلال عن الدول العظمى : فقد حاولت ان تعطي لفكرة عدم الانحياز مضمونا عالميا شاملا في اطار اقتصادي واجتماعي وثقافي . اما بالنسبة لفكرة الاستقلال عن الدول العظمى فكانت هذه الجمهورية ترى انه الرفض الشديد وادانة اطماع الهيمنة للدولتين العظميين ، وبهذا الموقف الراديكالي تفسر هذه الجمهورية في خط للنموذج الصيني .

٣ - ٣ - تيارات متنافسة ومفاهيم مختلفة للسياسة الخارجية

أحدثت الثورة الإيرانية تغييرا عاصفا وجلبت معها كما هائلا للظواهر المعقدة خاصة فيما يتعلق باقامة نظام حكم بديل . فقد استطاعت التيارات المختلفة عن خميني ان تتوحد من أجل تحقيق هدف الاطاحة بانشاء وسرعان ما تبلورت في السنتين الأوليين بعد الثورة وجهات النظر والاتجاهات المختلفة من جديد ونتيجة لذلك تطور الوضع الى نشوب صراعات داخلية حادة والى اضطراب في السياسة الخارجية تطورت في النهاية الى صراعات دامية على السلطة في صيف ١٩٨٠ . ولم تنشأ الصراعات الداخلية بين التيارات الإسلامية واليسارية والعلمانية والليبرالية الوطنية فحسب بل نشأت نتيجة للاختلافات الكامنة داخل الحركة الإسلامية ذاتها والتي كانت تمسك بزمام الامور ونحاول في الجزء التالي تحديد معالم ثلاثة اتجاهات متنافسة في اطار مركز القوة الحاكم وتصوراتها للسياسة الخارجية من الناحيتين النظرية والعملية .

(أ) اتجاه وطني اسلامي

ونعني بهذا الاتجاه اساسا « الحرية لايران » بزعامة مهدي بازرجان ويمثل بازرجان في تاريخ ايران الحديث مزيجا من الفكر الاسلامي والمصالح وآية الله طلقاني والذي حكم في الفترة ما بين نوفمبر وديسمبر عام ١٩٧٩ الوطنية (٣) . وعين رئيسا للوزراء بعد الثورة فقد كانت الآمال معقودة عليه للجمع بين القوى والتيارات المختلفة تحاشيا للاستقطاب . واحتل حزبه (وزارات الدفاع والداخلية والثقافة) وكبح هذا الحزب - الى حد - ما جماح السياسة الراديكالية التي كانت تطالب بها بعض الدوائر المتطرفة والتي كانت على اقتناع بضرورة التطهير الشامل لجهاز الدولة القديم وكان بازرجان يؤكد ان مهمة الثورة هي البناء وليس الهدم . وينقسم مفهومه للسياسة الخارجية الى النقاط التالية :

(٣) مهدي بازرجان ، حديث في : الدستور عدد ٤٥٤ لندن وديسمبر ١٩٧٩ .

- التوازن في العلاقات مع كلتا الدولتين العظميين والتعايش السلمي مع الدول المجاورة البرجماتية اي الاتجاه العملي هو المبدأ الاسمي للسياسة الخارجية . ويعني بذلك الرفض لاية محاولات ثورية متطرفة او مثالية : تكييف العمل السياسي مع المعطيات الفعلية . وبازرجان هو مؤلف كتاب « البرجماتية في الاسلام » والذي يقارن فيه بين الاسلام وبين افكار وليم جيبس والفلاسفة البرجمائيين المتطورين الآخرين كما يحدد فيه أوجه الشبه بين هذه الاسس (حديث صحفي مع بازرجان في مجلة الدستور ١٩٧٩) .

- حدود الثورة الإيرانية : عارض بازرجان فكرة « تصدير الثورة » ولكنه أيد فكرة اقامة نظام برجماني اسلامي هادي في اطار الدولة الوطنية الإيرانية . - على ان تكون ايران مثالا يحتذى لبلدان اسلامية اخرى دون تصدير للثورة (٤) .

- التعايش السلمي ليس فقط مع الدول الإسلامية ودول العالم الثالث بل ايضا مع الدول الغربية . وعلى الرغم من انه كان يشارك التيارات الاصولية في اهمية الربط بين الاستقلال الثقافي وبين حماية الوجهة الإسلامية نجد انه كان يرى ضرورة التعاون مع الدول الصناعية الغربية المتقدمة على المستوى الاقتصادي وبصفة خاصة المستوى التكنولوجي (حديث صحفي مع بازرجان في صحيفة الدستور ١٩٧٩) . حاول بازرجان في الفترة ما بين فبراير ونوفمبر عام ١٩٧٩ - تحويل مبادئه الى الواقع العملي بيد انه لم يحرز سوى نجاح جزئي لان الصراعات والاتجاهات المختلفة واختلاف وجهات النظر في القرارات السياسية نسفت جهوده .

(ب) الاتجاه الاصولي

ويمثل هذا الاتجاه الحزب الجمهوري الاسلامي الذي تأسس بعد انتصار الثورة مباشرة ويعد محاولة لتجميع انصار الخميني تحت قيادة دينية . وسرعان ما اوقع ادعاء الحزب - انه القوة السياسية الحاكمة والقائدة - في صراع مع التيارات الإسلامية الاخرى التي كان يجسدها بازرجان أو مع المثقفين المستقلين مثل بني صدر الذي لم يكن قد انضم الى الحزب وتميزت السنة الاولى بعد قيام الثورة بالصراع بين الحزب الجمهوري الاسلامي وبين حكومة بازرجان . وعلى الرغم من ان الحزب كان يتمتع بالاغلبية في مجلس الثورة نجد انه لم يكن نه اي عضو في الحكومة . بيد ان الحزب تمكن بفضل أغلبيته في المجلس الدستوري

(٤) بازرجان ، سلسلة مقالات « ثورتنا » في صحيفة انقلاب اسلامي (وهي صحيفة الثورة الإسلامية) عدد ١٢ - ١٧ ، نوفمبر ١٩٨٠

الذي تشكل حديثا من ادخال تعديلات واسعة على مشروع الدستور الذي وضعته وقدمته الحكومة ولعل أهم تدخل هو الجزء الخاص بالفقرات الخاصة بولاية الفقيه « الذي كان يضمن للصفوة الدينية وضعا قياديا في الدولة ». وتتمثل آراء التيارات الاصولية في السياسة الخارجية على النحو التالي :

— الثورة الاسلامية هي ثورة عالمية ولا تتوقف عند أية حدود قومية ويمكن التضحية بمصالح ايران القومية في سبيل تحقيق هذا الهدف .

— ان قصر الثورة على الحدود القومية للدولة يعتبر موتا للثورة وانتشارها هو الضمان الوحيد لانتصارها في ايران .

— يمكن تقوية التيار الاسلامي داخل الدولة — عن طريق الكفاح المتواصل ضد العالم الخارجي — الامر الذي يحول دون قيام بيروقراطية داخل الدولة وبذلك يصبح ما يسمى بالفوضى الثورية شيئا نظريا .

— الثورة الاسلامية ليست غربية ولا شرقية وعدوها الرئيسي هو الولايات المتحدة الامريكية ومسألة الرهائن تثبت ذلك ويمكن ضعف هذا الرأي في عدم وجود أي اختلاف بين الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا وليس هناك صحة لاستقلال أوروبا وصراعها مع قوى الهيمنة الامريكية .

— أصبحت عزلة ايران مؤكدة من الناحية النظرية ، فالعزلة تعتبر نتيجة حتمية للبناء المستقل لايران الجديدة . ونظرا لان التكنولوجيا الحديثه مرتبطة ارتباطا وثيقا بالثقافة الغربية وبالحضارة ، فلا يمكن لايران أن تأخذ احدهما دون الاخرى .

— تبرير فكرة « تصدير الثورة » ادى فيها بعد الى خلق ازمت دبلوماسية شديدة وصراعات مع الدول المجاورة خاصة دول الخليج .

(ج) اتجاه بنى صدر :

على الرغم من ان وضع بنى صدر كان قريبا من اتجاه بازرجان الاسلامي الا أنه اتخذ لنفسه بعد انتخابه رئيسا للوزراء اتجاها خاصا به وانت استقالة وزارة بازرجان في نوفمبر ١٩٧٩ ومشكلة الرهائن تعنى انتصارا للتيار الاسلامي الاصولي بما له من اثر على الحياة السياسية في داخل البلاد وعلى السياسة الخارجية أيضا . فبعد انتصاره القوى في انتخابات الرئاسة والتي حصل منها على ثمانية في المائة من الاصوات حاول اخماد التيارات المتطرفة كما بذل جهودا جبارة لاعادة صياغة سياسة اسلامية هادئة تتفق مع اتجاهات بازرجان رئيس الوزراء السابق . ويمكن استعراض مواقف بنى صدر بالنسبة للسياسة الخارجية على النحو التالي :

— **التوازن السلبى :** كمنظر مرموق للثورة الاسلامية صاغ بنى صدر مفهوم السياسة الخارجية على هذا النحو : لا يمكن ضمان استقلال ايران عن طريق العزلة ولا عن طريق التورط في صراعات متعددة او عن طريق « التوازن الايجابى » . فالدول الكبرى مرغمة نظرا لتكوينها على التنافس من احل انفسود والهيمنة في كل منطقة في العالم . ويمكن عن طريق اقامة علاقة متوازنة مع كلتا الدولتين العظميين ومقاومة اطماع الهيمنة وتخفيف الضغط على ايران وارغام الدول الكبرى على قبول ايران المستقلة كحد أدنى لتحقيق مطالبها الخاصة (بنى صدر ١٩٧٩ ، ٤ - ٥ ، ٩٠) وقد عبر بنى صدر عن هذا الموقف مرات عديدة خلال بياناته واحاديثه الصحفية التي ادلى بها واجراها اثناء الفترة القصيرة التي أمضاها في منصب وزير الخارجية في شهر نوفمبر عام ١٩٧٩ . وايد بنى صدر في ندائه للشعب الامريكي حل مشكلة الرهائن وحاول التأكيد على ان ايران المستقلة تتفق فعليا مع مصالح الشعب الامريكي اما التصعيد المستمر فسيؤدى الى التدخل السوفيتي في ايران (بنى صدر - رسالته في ١٩٧٩/١١/٤) .

— يفرق بنى صدر في النظام الدولي الجديد بين مستويات الصراع المختلفة ففي محاربته للدول الكبرى يدعو الى أوروبا محاييدة والتعاون معها .

— تدعيم دور المنظمات الدولية والاقليمية وخاصة تلك التي تدعو للتعاون مع دول العالم الثالث ، مثل منظمة الاوبك او منظمة الدول الاسلامية .

— يدعو بنى صدر كأساس داخلي لمثل هذه السياسة — على العكس من فكرة « الفوضوية » الثورية — الى الاستقرار والوحدة الوطنية والتطور السلمى للعلية الثورية (بنى صدر ١٩٧٩ ، ١٤٣) .

— رفض مفهوم « تصدير الثورة » وتجنب أي شكل من اشكال العنف في العلاقات الثنائية .

اثبتت الخلافات بين التيارات السياسية الثلاثة السابق ذكرها تأثرا حاسما على السياسة الخارجية لايران حتى شهر يونيو عام ١٩٨١ . وادى عزل بنى صدر واستيلاء الاصوليين على السلطة وبعد صراع استمر سنتان ونصف سنة الى تنفيذ اهداف الاصوليين ومبادئهم في السياسة الخارجية . بيد ان اتجاهات جديدة داخل النظام بالاضافة الى متطلبات الحرب اجبرت الاصوليين منذ عام ١٩٨٣ على التراجع الجزئى على الأقل عن شعاراتهم الثورية والى الاخذ بالنسبة لبعض العناصر البرجماتية في مواقفهم السياسية الخارجية .

١٠٤٠٣ تقلبات في السياسة الخارجية الإيرانية

نقسم فيما يلي السياسة الخارجية الإيرانية الى أربع فترات تغير فيها شكل ومضمون السياسة الخارجية مع موازين القوى وأصحاب القرارات .

١٠٤٠٣ فبراير — نوفمبر ١٩٧٩

العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب

كانت سياسة بازرجان الخارجية مضادة لكلتا الدولتين العظميتين إلا أنها كانت تتميز بالخوف من التدخل السوفيتي . ولذلك عملت حكومة بازرجان ليس على قطع بل على إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة والدول الغربية على أساس جديد . فمن ناحية قطعت العلاقات مع إسرائيل وجنوب أفريقيا وخرجت من حلف السنسو (بيان حكومي) اطلاعات في ١٩٧٩/٣/١٩ ومن ناحية أخرى جرت المساعي لاقامة علاقات طيبة مع أوروبا الغربية واليابان كما أعادت المعاهدات الاقتصادية والعسكرية التي أبرمت في عهد الشاه وحرصت على ملامتها مع الظروف الجديدة . فقد كان أي خرق للمعاهدة يعني كارثة بالنسبة للاقتصاد الإيراني وبالنسبة للصناعة الانتاجية الإيرانية حيث أن نسبة اعتماد قطاع التسليح على هذه المعاهدات كانت كبيرة ، وقد أرغم انتهاء المعاهدة من طرف إيران على استيراد الأسلحة من الاتحاد السوفيتي كما حدث لمصر بعد ثورة ١٩٥٢ وللإيران عام ١٩٥٨ . ويرى الخبراء عن حق أن امدادات الأسلحة السوفيتية كانت الخطوة الأولى في طريق النفوذ السياسي في الشرق الأوسط في الخمسينات . وكانت حكومة بازرجان تعارض هذا النوع من التحول الراديكالي وفي هذا الاطار يلزم الرجوع الى المقابلة غير الموفقة بين بازرجان وبرزنيسكي التي تمت في الجزائر في أكتوبر عام ١٩٧٩ والتي عجلت باستقالة حكومته (الشرق الاوسط في ١٩٨٩/١١/١٨) .

العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية

تقع علاقة إيران مع الاتحاد السوفيتي في دائرة المساعي الدائمة للحصول على مناطق النفوذ وغزو أفغانستان . وظل الاتحاد السوفيتي الذي رحب بالاطاحة بنظام الشاه وضياح القلعة الأمريكية في إيران ينظر بعين الشك الى الوجهة الإسلامية للثورة (يودفات ١٩٨٤ ، ٥٤ ، ٥٧) وتجلي ذلك في قواعد الحديث الرسمية فلم تتحدث الصحافة السوفيتية عن الجمهورية الإسلامية بل عن الجمهورية الإيرانية ولم تكتب الثورة مقرونة بالإسلامية بل الديمقراطية الوطنية (تشوين ١٩٨٠ ، ٢٨) . بينما اختارت الصحافة الإيرانية لفظ روسيا لتهاجم بذلك دمج الجمهوريات الإسلامية الآسيوية في الاتحاد السوفيتي التي كانت من الوجهة التاريخية أجزاء من الأراضي الفارسية واحتلتها روسيا القيصرية على مدى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

وقد حاول الاتحاد السوفيتي مرتين على الأقل في تاريخ إيران الحديث فرض نفوذه على السلطة المركزية عن طريق مساعدة مطالب الاستقلال الذاتي للجماعات المحلية والعرقية . فقد ساند الاتحاد السوفيتي جمهورية المستشارين في إقليم جيلان عام ١٩٢٠ كما ساند جمهوريتي أذربيجان وكردستان في السنوات ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ (ايجليتون ١٩٦٣ ، ١٢٣ — ١٢٥) واصابة مساندة الصحافة السوفيتية لمطالب الاستقلال الذاتي الكردية والتركمانية بعد قيام الثورة الإسلامية نقطة حساسة في علاقات كلا البلدين . وقد تجنب الاتحاد السوفيتي أي تورط مادي في الخلافات ولكنه أكد مرات عديدة على أهمية الاستقلال الذاتي للكراد . يودفات ١٩٨٤ ، ٦٣ ، ٨٦ ، ١٤٥ ، تاس ١٩٧٩/٩/٤ . وكانت الازمة الأفغانية منذ البداية مصدرا للتوترات ، فبينما كانت ترى إيران في الغزو تهديدا مباشرا اتهم الاتحاد السوفيتي إيران بالتدخل في الشؤون الأفغانية وارسال متطوعين . وادت الخلافات حول ارتفاع سعر البترول بجانب الخلافات السياسية الأخرى الى تسمم المناخ بين الدولتين (بيان حكومي إيراني ، اطلاعات ١٩٧٩/٩/٢٠) .

ولا يصح تجاهل الأبعاد الأيديولوجية لهذا الصراع . ويعتبر كثير من المراقبين أن من المتوقع أن يكون للثورة الإسلامية أثر على الوضع في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي (تشوين ١٩٨٠ ، ٢٨ ، دنكاوري ١٩٨١ ، ٢٢٥ — ٢٣٢ يودفات ١٩٨٤ ، ٨٤ — ٧٦) .

وعلى الرغم من سوء العلاقات مع دول الغرب لم يطرأ — على عكس جميع التوقعات — أي تحسن في العلاقات مع دول الكتلة الشرقية وكانت المبادرة الوحيدة التي تهدف الى تحقيق التقارب هي وعد الحكومة الإيرانية بتوجيه الدعوة لفيدل كاسترو رئيس الحزب والدولة الكوبى لزيارة إيران بيد أن هذه الزيارة لم تتم .

العلاقات مع العالم الثالث والمنظمات الدولية

وعلى الرغم من المشكلات الداخلية المتعددة كانت علاقات إيران مع دول العالم الثالث ومع المنظمات الدولية في هذه الفترة مكثفة بشكل أكبر من الفترة التالية . وكانت العلاقات مع الدول الإسلامية تحتل المرتبة الأولى واشترك بازرجان على الرغم من النقد العنيف من جانب التيارات المتطرفة - في مؤتمر منظمة الدول الإسلامية التي كانت التيارات الإسلامية تحط من قدرها كمنظمة رجعية . ثم أصبحت إيران عضوا في دول عدم الانحياز وأرسلت وزير خارجيتها الى مؤتمر دول عدم الانحياز في هافانا ثم قطعت العلاقات مع جنوب أفريقيا واعترفت الجمهورية الجديدة بحكومة الساندينستا في نيكاراغوا . ولم يطرا أي تغيير جوهري على العلاقات مع الصين على الرغم من خطهما المتوازي المحدد فيما يتعلق بالدول الكبرى وعلى الرغم من التشابه في التطور الداخلي ، ظلت هذه العلاقات تخيم على شبح الزيارة الرسمية التي قام بها لايران هاو كاو فنج رئيس الدولة الصيني الذي كان آخر رئيس دولة صيني قام بزيارة رسمية للشاه . أما العلاقات الإيرانية مع الدول العربية وخاصة مع دول الخليج والعراق ستعالج بشكل منفصل فيما بعد .

٢٠٤٠٣ نوفمبر ١٩٧٩ - أغسطس ١٩٨٠

تولى مجلس الثورة مقاليد السلطة التنفيذية بعد اقالة حكومة بازرجان في نوفمبر ١٩٧٩ وكلف بعض أعضائه بإدارة الوزارات . وكان آية الله بهشتي رئيس مجلس الثورة وبنى صدر الذي كلف بمهام وزارات الخارجية والمالية والاقتصاد لاعادة تنظيمها موضع خلاف .

وكان العامل المسيطر في بداية هذه الفترة هو الحزب الجمهوري الإسلامي بالإضافة الى مجموعة الطلبة المتطرفين المتحالفة معه والتي احتلت السفارة الأمريكية وكانت السمات الرئيسية الخارجية لهذه الفترة هي العزلة والميل الى التطرف الذي تمكن بنى صدر من اضعافه عن طريق التيار الذي كان يمثله . ولم يسئ احتجاز الرهائن الى العلاقات مع الخارج فحسب بل لعب دورا هاما في القضاء على جذور الاتجاهات الليبرالية والوطنية والمعتدلة في الصراع الداخلي على السلطة وسيطر المفهوم الاصولي في السياسة الخارجية على الرغم من مقاومة بنى صدر وآخرين . ويمكن عرض ملامحه الأساسية كما يلي :

الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الغربية

كان احتجاز الرهائن تعبيرا عن سياسة معادية للأمريكيين وضد التحالف الغربي تسببت أخيرا في عزلة البلاد وفي فرض العقوبات السياسية والاقتصادية من جانب الدول الغربية . الا أن الأمر كان يتعلق أساسا بالصراعات الداخلية على السلطة فقد استحدثت النشاطات السياسية الخارجية لتعبئة جماهير الشعب من ناحية والقضاء على العناصر الليبرالية والوطنية داخل مركز السلطة من ناحية أخرى .

وأصبحت التوقعات الإيرانية بخيبة أمل فيما يتعلق بنتائج احتجاز الرهائن على العلاقات الدولية . وقد أراد آية الله خميني اجبار الدول الإسلامية على التحالف ضد أمريكا بهدف الحيلولة دون قيام انتفاضات خطيرة في هذه الدول (النهار ١٩٧٩/١١/٢٨ ، ١٩٧٩/١٢/١٨) بيد أن احتجاز الرهائن قد تسببت في مزيد من العزلة وفقدت إيران السمعة الطيبة الذي كانت تتمتع بها بعد الثورة بين الرأي العام العالمي . فقد اتضح موقف بريطانيا وجمهورية ألمانيا الاتحادية وفرنسا أن الدول الأوروبية واليابان قد ابتعدت حقا في البداية عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية المناهضة لإيران بيد أنها تراجعت تحت ضغط الولايات المتحدة وتحت وطأة الأحداث ، على هذا الخط .

(ب) الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية

دأب الاتحاد السوفيتي على توجيه النقد الحاد الى السياسة الخارجية في عهد رئاسة بازرجان للوزارة أي في الفترة من فبراير حتى نوفمبر عام ١٩٧٩ ورأى أن الفرصة سانحة أمامه في الوضع الجديد لاستغلال الصراع الأمريكي الإيراني والحصول على منطقة نفوذ في إيران (يودفات ١٩٨٠ ، ١٢٦ - ١٢٨ ، ١٩٨٠ ، ٤٠) وعلى الرغم من التدخل الاحادي الموجه ضد الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت إيران تخشى تدخل السوفييت وإدانت المذكرة الموجهة من مجلس الثورة الإيراني الى قيادة الحزب السوفيتي جميع المحاولات السوفيتية الرامية للحصول على مناطق النفوذ وأكد وزير الخارجية الإيراني من جديد في خطابه لنظيره السوفيتي اندريه جروميكو الموقف الإيراني وادان بشدة غزو أفغانستان ، فقد كان تورط النظام الإيراني الجديد في النضال مع الولايات المتحدة الأمريكية يشكل من وجهة النظر الإيرانية فرصة لنجاح غزو أفغانستان ولذلك وقعت في إيران في يناير عام ١٩٨٠ مظاهرات معادية للسوفييت وعلاوة على ذلك أعلنت إيران مقاطعتها للدورة الاوليمية التي اقيمت في موسكو (كيهان ١٩٨٠/١/٢٢) .

وعلى الرغم من ذلك استخدم الاتحاد السوفيتي حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي وحال بذلك دون ادانة إيران واستغل الاتحاد السوفيتي المطاطة

الاقتصادية من جانب الدول الغربية في تكثيف العلاقات التجارية مع ايران (١٥/١/١٩٨٠) . وفي ربيع عام ١٩٨٠ تحسنت العلاقات الاقتصادية الايرانية السوفيتية والتي على عاتق ايران مهمة تدعيم العلاقات التجارية مع دول الكتلة الشرقية .

(ج) العالم الثالث والمنظمات الدولية

لم تتمكن ايران من تحقيق خطتها لاقامة حلف مناهض للامريكيين فقد اعترفت فجأة بجمهورية الصحراء لكى تضمن مساندة الجزائر وليبيا وانتهجت ايران سياسة انعزالية داخل المنظمات الاقليمية وغير الاقليمية ولم تشترك في جلسات مجلس الامن ولا جلسات محكمة العدل بلاهاى عند مناقشة مشكلة الرهائن وابتعدت ايضا عن منظمة الدول الاسلامية وبادر بنى صدر رئيس الوزراء المنتخب حديثا والذي كان يرى جيدا ضعف ايران في سياستها الخارجية بسبب مشكلة الرهائن السفير ١٧/٣/١٩٨٠ بادر بنى صدر باقتراح اشراك بلاده في مباحثات منظمة الدول الاسلامية في باكستان ولكن هذه الخطوة اصطدمت بالرفض الشديد من جانب الحزب الجمهورى الاسلامى ومن جانب الاتجاهات اصولية (الجمهورية الاسلامية في ٤/٥/١٩٨٠) .

وساد النصف الثانى من هذه الفترة ابتداء من مارس حتى شهر اغسطس ١٩٨٠ صراعات داخلية بين الرئيس بنى صدر والسيطرة اصولية في البرلمان . وبدأ بنى صدر بالاشتراك مع وزير خارجيته قطب زادة في توطيد علاقات مع اوربا . واشترك قطب زادة كمراقب في مؤتمر الدولية الاشتراكية وطالب المجتمعين بسياسة اوربية فعالة ومستقلة . واستقبل بنى صدر وفدا للدولية الاشتراكية برئاسة المستشار النمساوى آنذاك كرايسكى وكانت جهود بنى صدر السياسية موجهة بوعى ضد أى اتجاه موال للاتحاد السوفيتى في ايران ، اما العلاقات مع كوريا الشمالية فكانت مرتبطة بفكرة التقارب مع الصين .

وتميزت الحقبة ما بين نوفمبر عام ١٩٧٩ حتى اغسطس ١٩٨٠ بانشطة سفيرة في السياسة الخارجية فقد ساد التوجه اصولى المتطرف حتى عام ١٩٨٠ من يناير حتى مارس علم ١٩٨٠ حاول الرئيس الجديد ايقاف هذا الاتجاه . وساند الخمينى وبطانته — الذين صدموا بالانتصار الساحق لبنى صدر والذين كانوا غير راضين عن سياسته الخارجية — الحزب اصولى الاسلامى ، بشكل مكثف ، وقد تمكن الحزب اصولى اخيرا من الحصول على الاغلبية في الانتخابات البرلمانية في المجلس الوطنى التى جرت في ٥ مارس ١٩٨٠ . وابتداء من مارس توالى الخلافات داخل البرلمان مما أدى الى ازمة دستورية حادة . وطبقا

للدستور الايرانى يرأس الرئيس السلطة التنفيذية وينسق بين السلطة التنفيذية والتشريعية ولا بد من حصول الحكومة على رضا وموافقة الرئيس والبرلمان ولم ينص الدستور على شىء فى حالة حدوث خلاف بين الرئيس والبرلمان (الدستور الايرانى الفقرة رقم ٨٧ ، ٨٩ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧) وفى اثناء الازمة الوزارية التى دامت خمسة اشهر لم يتم التوصل الى اتفاق حول تشكيل مجلس الوزراء .

٣٠٤٠٣ الفترة من اغسطس ١٩٨٠ حتى يونيو ١٩٨١

وكان يتحتم على بنى صدر بعد تدخل الخمينى قبول رجائى الذى اقترحه انبرلمان رئيسا للوزراء . وفى اغسطس تم تشكيل الحكومة الجديدة وبشرت السلطة . اما وزارات الخارجية والاقتصاد والدفاع فبقيت شاغرة كما ظلت وزارة الخارجية بدون وزير دائم وعين وزير جديد للدفاع فى شهر أكتوبر فقط بعد اندلاع الحرب الايرانية العراقية .

وكان تشكيل الوزارة فى اغسطس ١٩٨٠ يعنى انتصارا للاتجاه اصولى الذى بدأ فى تنفيذ آرائه فى السياسة الخارجية لايران باستثناء بعض مواقف بنى صدر الذى كان يركز على اعادة بناء الجيش والذى كان قد فقد نفوذه بشكل ملموس وأصبح رئيسا معارضا بصفة دائمة .

رغمعت فى عهد رجائى عزلة ايران واصبح لها الان اسس نظرية وادينت المقاطعة الاقتصادية الغربية بصورة رسمية الا انها كانت فى نفس الوقت فرصة ملائمة للبناء الجبرى للطاقت والمصادر الاقتصادية الخاصة . واتخذت هذه النظرية مقياسا لمدى الاخلاص للاسلام — أى الولاء لتوجيه الامام — حيث اتخذ هذا المعيار اساسا للحكم على القيادات العليا العلمية والتكنوقراطية . وقد نتج عن ذلك تفضيل لبعض القوى وموجة جديدة للتطهير وجهت ضد جميع التيارات المتأثرة بالعقائد الوطنية والليبرالية التى لها طابع غربى اودت هذه الموجه الى اغلاق الجامعة كما الفيت المنح الخارجية ولم تؤد حملة التطهير الى اضعاف الاقتصاد فحسب بل اضعفت أيضا المؤسسات والهيئات الهامة فى السياسة الخارجية .

(ا) الولايات المتحدة الامريكية والكتلة الغربية

ونظرا لان مشكلة الرهائن كانت تشكل الملامح الرئيسية للسياسة الخارجية والداخلية استمر الصراع مع أمريكا « الشيطان الاكبر » وجمدت الولايات المتحدة الامريكية الحسابات الايرانية فى البنوك الامريكية ورفضت الالتزام بالمعاهدات القديمة . تحت ضغط الحرب الايرانية والموقف العصيبة

داخل البلاد وبعد وساطة الجزائر الناجحة اطلق سراح الرهائن فرغمت الولايات المتحدة الامريكية الحظر المفروض على بعض الحسابات وحصلت ايران على الاسلحة وقطع الغيار اساسا من الدول الحليفة للولايات المتحدة الامريكية وعلى الرغم من انفراج العلاقات مع غرب أوروبا بعد انتهاء مشكلة - الرهائن - نجد انه لم يطرأ أى تحسن نوعى على العلاقات حيث وصلت علاقات رجائى مع بريطانيا الى مستوى منخفض تماما فى الوقت الذى تسم فيه تطبيع العلاقات مع اليابان التى اصبحت فيما بعد أهم مشتر للبترول فى ايران .

(ب) الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية

كانت العلاقات الإيرانية السوفيتية سيئة للغاية قبيل تشكيل حكومة رجائى خاصة بسبب ردود الفعل الشديدة للهجة على غزو أفغانستان . وقد أشاد الجانب السوفيتى بتعيين رجائى باعتباره تعبيرا عن اتجاه معاد للامريكيين وعلق بيان سوفيتى على الصراع الداخلى على السلطة فى ايران على النحو التالى :

« كان بنى صدر وتلك الجماعات التى تسانده موالين للولايات المتحدة الامريكية والغرب وأوروبا . وفى الوقت ذاته كان الاصوليون المسلمون يتخذون مواقف وطنية » (يودفات ١٩٨٣ ، ١٢٦٠) .

وكانت كلمه مواقف وطنية تعنى بوضوح مواقف معادية للامريكيين بشكل واضح وموالية للسوفييت . وبعد اندلاع الحرب ايد أحد الاتجاهات داخل الحزب الجمهورى الاسلامى فكرة استيراد الاسلحة من الاتحاد السوفيتى وقد أعلن جلال فارس زعيم الحزب ومرشح الرئاسة ذلك بقوله : « نحن لا نواجه العراق وحده بل أيضا الولايات المتحدة الامريكية . فالاسطول الامريكى فى الخليج ولا يمكن مقاومته بدون الاسلحة السوفيتية . وقد اثبتت تجارب فيتنام وكوريا ومصر فى عهد ناصر انه من المستحيل الدخول فى مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الامريكية بدون اسلحة سوفيتية » (الجمهوريه الاسلاميه فى ١٩٨٠/١١/٢٩) .

ولم يحدث مثل هذا التعاون العسكرى ولكن تحسنت العلاقات الاقتصادية الإيرانية مع الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية بشكل كبير فى عهد رجائى كما امكن التوصل الى تسوية لتكاليف تصدير الغاز الايرانى .

(ج) العالم الثالث والمنظمات الدولية

أرسلت الدبلوماسية الإيرانية فى فبراير ١٩٨١ وفودا الى بلدان مختلفه من دول العالم الثالث وذلك لتوضيح الموقف الايرانى فى الصراع مع العراق . بيد ان عزلة ايران وتبديد الطاقات والازمات التى نجمت عن الحرب قد حالت

دون اجراء اتصالات سياسية مكثفة مع دول العالم الثالث . وكان أهم حدث حضور رئيس الوزراء الايرانى الجمعية العامة للأمم المتحدة . ويعتبر خطاب الذى القاه فيها تسجيلًا وثقيا لسياسة ايران الخارجية فى تلك الحقبة . وكانت ايران فى عهد راجاى تمثل الجناح المتطرف داخل الدول الاسلامية وقاطعت اجتماعات منظمة الدول الاسلامية التى عقدت فى الرياض فى يناير عام ١٩٨١ .

دفعته الحرب مع العراق ايران الى عزلة قوية كما اضعفت نشاطها الدبلوماسية وباستثناء اللقاء مع رئيس الوزراء الباكستانى على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة لم تجر أية اتصالات سياسية أخرى . أما الوفود الحكومية التى قامت بزيارات لدول العالم الثالث فى فبراير ومارس من عام ١٩٨١ فقد تم ارسالها من قبل قسم الاعلام فى المجلس الاعلى للدفاع كما انها لم تجتمع الا مع ممثلين غير رسميين لدول أخرى .

٤٠٤٠٣ الفترة بعد يونيو عام ١٩٨١

لم يكن عزل بنى صدر وقوى أخرى معارضة بارزة يعنى سيطرة الاتجاه الراديكالى الكاملة فحسب . بل أيضا السيطرة الكاملة لمفاهيمه السياسية الخارجية واستمرت سياسة رجائى . وحدد رئيس الوزراء الجديد ملامح هذه السياسة فى خطابه الذى القاه أمام الأمم المتحدة فى نيويورك فى ٥ أكتوبر عام ١٩٨١ .

وكانت الحرب الإيرانية العراقية ومتطلباتها تحدد دائما توجهات السياسة الخارجية لايران . ولم يطرأ أى تغيير على بيانات وأسس السياسة الخارجية فى جوهرها منذ عام ١٩٨١ بيد أنها قد تقلبت مع الوقت بعض وجهات النظر البرجماتية . وتوثقت العلاقات الاقتصادية مع غرب أوروبا واليابان كما حدث تقارب ملموس مع الصين ولم يطرأ أى تغيير على المواقف الاساسية فى السياسة الخارجية التى كانت تتميز برفض ايديولوجى للدول الكبرى والغرب تميزت أيضا بالاشتراك الايجابى فى المنظمات الاقليمية والدولية . وتأثرت العلاقات مع غالبية الدول المجاورة والدول العربية بشدة وبالتعارض المذهبى بين « الشيعة والسنة » .

٥٠٢ العلاقات مع الدول العربية وخاصة دول الخليج

كانت البيانات الرسمية للجمهورية الاسلامية فى البداية توحى فى محصلتها بسياسة عربية نشطة بيد أن ايران قد دخلت على النقيض من ذلك فى صراع مع اغلب الدول العربية وحالت العقبات التالية دون حدوث أى تطور ايجابى فى هذه العلاقات :

— كانت الشخصية العقيدية الدينية للجمهورية الإيرانية بالمذهب الشيعي تشكل تهديداً على كثير من الدول العربية المحافظة والمتحالفة مع الغرب، نظراً لأنها كانت تخشى نشاط الأقلية الشيعية .

— مبدأ « تصدير الثورة » .

— الحرب العراقية الإيرانية .

— أدى النفوذ الأمريكي في بعض الدول العربية مثل مصر والمملكة العربية السعودية وعمان إلى حدوث توتر بين إيران وهذه الدول في بعض الظروف خاصة مثل في مشكلة الرهائن .

— الخلافات داخل المنظمات الاقليمية وسياسة الاسعار المتفاوتة داخل منظمة الاوبك والخلافات السياسية الايديولوجية داخل منظمة الدول الاسلامية الى زيادة حدة الخلافات والتوتر بين إيران وهذه الدول .

— التحالفات العربية المتنوعة والمتنازعة مع بعضها ، فعند اجراء اتصالات مكثفة مع احدى المحاور كانت العلاقات تتعكر تلقائياً مع الدول الاخرى .

(١) شكلان للسياسة العربية

انعكست المفاهيم المختلفة للسياسة الخارجية الإيرانية على العلاقات الإيرانية العربية أيضاً . ويمكن أن نفرق بين اتجاهين رئيسيين : سياسة حكومة بازرگان التي واصلها الى حد ما كل من بني صدر وقطب زادة وكانت تسعى الى حدوث تحسن عام للعلاقات مع العالم العربي على الرغم من نوعية الانظمة الحاكمة هناك وقد رفضت هذه السياسة فكرة تقسيم الدول العربية الى دول محافظة واخرى تقدمية وذلك تجنباً لسوء العلاقات مع جانب العالم العربي . وقد طرأ في عهد بازرگان تحسن نوعي على العلاقات مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج (الانوار في ١٩٧٩/٩/١ ، النهار ١٩٧٩/٩/٢٠) .

أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه الاصولي : فقد ادى شعار تصدير الثورة الى حتمية حدوث مواجهة مع الدول العربية المحافظة وخاصة المملكة العربية السعودية وتدنّت العلاقات مع أعضاء ما يسمى بـ « جبهة الرفض » (الجزائر وسوريا واليمن الجنوبي وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) التي كانت تصنف الدول العربية الى دول محافظة واخرى تقدمية .

ونحاول تقديم تحليل مفصل لعلاقات إيران مع اهم الدول العربية وخاصة دول الخليج فقد لعبت هذه العلاقات دوراً هاماً في التاريخ المبكر للحرب العراقية الإيرانية كما أنها تفسر الى حد ما اندلاع الحرب وتطور العلاقات العربية الإيرانية أثناء الحرب وحتى الآن .

(ب) العلاقات مع جبهة الرفض والمعارضة العربية

هامت إيران بالجراء اتصالات مكثفة نسبياً مع الجبهة المعادية لأمريكا وهي ما يسمى بـ « جبهة الرفض » وهي نظام غير موحد ولكنه يتميز بالخلافات السياسية والايديولوجية فنظام الحكم في اليمن الجنوبي ماركسي وعلماني . وعلى الرغم من الادعاء الاسلامي الذي تدعيه القيادة الليبية والذي يبدو للوهلة الاولى انه متقارب ومتواز مع إيران نجد ان هناك خلافات قائمة بين الاتحاد الايراني وبين أعضاء جبهة الرفض فقد رفضت المؤسسة الشيعية في إيران والمؤسسات السنية في الدول الاخرى التفسير الليبي للاسلام وخاصة الحديث، ووصفته بأنه هرطقة .

أما سوريا فيحكمها حزب البعث العلماني والذي يشن حملة دموية ضد الاحوان المسلمين (باتاتوا ١٩٨١ — ٢٢١ — ٢٤٤) أما الصفوة الحاكمة فهي تحسب نفسها من طائفة العلويين وهي طائفة قديمة منشقة من المذهب الشيعي ولا تعترف المؤسسة الشيعية التقليدية بها كمسلمين .

كان الدافع للتقارب بين إيران وهذه الدول سياسياً لان هذه الدول قدمت نفسها كأطراف اقليمية حليفة كما تصور نفسها بأنها تشكل جبهة معادية لأمريكا وتنهج استراتيجية اقليمية مشتركة بل واكبر من ذلك هي في صراع دائم مع العراق وبعض الدول المحافظة الاخرى . وثمة سبب آخر للتقارب على الرغم من الاختلافات العميقة وهو البعد الجغرافي لهذه الدول بالنسبة لإيران بالإضافة الى تكوينها المذهبي الداخلي حيث لا يشكل شعور « تصدير الثورة » تهديداً لها .

مع عهد حكومة بازرگان كانت العلاقات مع جبهة الرفض خاصة مع سوريا وليبيا علاقات محدودة وركزت هذه الحكومة على الجزائر والدول المعتدلة داخل جبهة الرفض والتي كانت تقوم بدور الوساطة في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية المحافظة . ولكن قد تكثفت العلاقات مع كل من سوريا وليبيا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩ ولم يكن ذلك ناتجاً عن سيطرة الاتجاه الاصولي بل نتيجة العزلة المتزايدة .

كانت العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية على درجة أكبر من التعقيد والاختلاف فقد اقام آية الله خميني في منتصف الستينيات علاقات طيبة مع منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت تجري بعض التدريبات العسكرية أيضاً . وفي حربى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ أعلن الخميني أن المعركة الفلسطينية تعتبر « جهاداً » وطالب المسلمين بالمشاركة والاكثر من ذلك استغل نفوذه على الشيعة في لبنان لاقناعهم بأهمية مساعدة النضال الفلسطيني . واصدر فتوى بتخصيص جزء من الزكاة للفلسطينيين .

وبعد انتصار الثورة قطعت ايران علاقاتها مع اسرائيل ووضعت مبنى السفارة الامريكية تحت تصرف منظمة التحرير الفلسطينية . وفي فبراير عام ١٩٧٩ وجه عرفات تهديدا من عبدان على الساحل الشرقي للخليج الى الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها وأنه يربط بالفعل على الجانب الآخر من الخليج . بيد ان توقعات كل من ايران ومنظمة التحرير الفلسطينية لم تتحقق وفشلت اسلحة منظمة التحرير الفلسطينية وان كانت قيادتها تعتبر من وجهة النظر الايرانية برجائية وانتهازية . وتعارضت علاقات منظمة التحرير الفلسطينية بالملكة العربية السعودية وبعض الدول العربية الاخرى مع التصورات الايرانية كما تعارضت بنفس القدر مع سعى قيادة المنظمة للحصول على اعتراف امريكا بها .

(د) العلاقات مع دول الخليج

كانت علاقات ايران مع دول الخليج تتميز منذ قيام الثورة بخوف هذه الدول من السيطرة الايرانية ومن انتشار روح الثورة . وكانت التيارات اصولية المتطرفة تعتبر انتشار الثورة في دول الخليج مسألة وقت وأدى تصميم ايران على استمرار السيادة على الجزر الخليجية الثلاث المحتلة (الكويت ، قطر ، البحرين) في ١١/٣/١٩٧٩) وكذلك تصريحات آية الله روحاني المطالبة بالبحرين الى خلق موقف متوتر (اطلاعات في ١٥/٦/١٩٧٩) واستقبلت حكومة بازرگان التي كانت تميل الى تخفيف حدة التوتر وتعمل على تطبيع العلاقات المتبادلة وزير الخارجية الكويتي في طهران كما قام وزير الثقافة الايراني بزيارة المملكة العربية السعودية في بداية شهر سبتمبر عام ١٩٧٩ وكان من المفروض قيام الامير فهد بزيارة لطهران ردا على زيارة الوزير الايراني (الانوار ١٠/٩/١٩٧٩) حديث مع بازرگان ديسمبر ١٩٧٩ . وقام طباطبائي نائب رئيس الوزراء الايراني عد وساطة خدام وزير الخارجية السوري بزيارة البحرين ودول خليجية اخرى في اكتوبر عام ١٩٧٩ (النهار في ٧/١٠/١٩٧٩ ، اطلاعات في ١٥/١٠/١٩٧٩) . وكانت لانشطة الدبلوماسية موجهة ضد انتقاده الاحادي للسياسة الخارجية الايرانية وخاصة توقيع اي تحالف مع الاتحاد السوفيتي الا أنها انتهت نهاية سريعة باستقالة بازرگان وتدهورت العلاقات مع دول الخليج والمملكة العربية السعودية ووصلت الى الحضيض بعد انتشار الاتجاه اصولي وما ترتب على مشكلة الرهائن .

هذا وقد زاد تدهور العلاقات بسبب القرارات التي اصدرتها الجامعة العربية اثناء مشكلة الرهائن تحت تأثير الدول العربية المحافظة وكانت تنص على رفض مساندة ايران . كما ظلت العلاقات مع مصر محدودة وسلبية . وعلى الرغم من اخراج مصر من الخطيرة العربية بسبب معاهدة السلام مع اسرائيل نجد ان

مصر ظلت تتمتع بمكانة خاصة في الدبلوماسية الايرانية بصفتها اقوى دولة عربية . الا ان عرض مصر منح الشاه المخلوع حق اللجوء ووضع منشآتها العسكرية تحت تصرف الطائرات الامريكية اثناء عملية اطلاق سراح الرهائن الفاشلة خلق مناخا سيئا للغاية (متحدث باسم الحكومة الايرانية في ١٥/٣/١٩٧٩ ، بيان مكتب الحيني ٣٠/٥/١٩٧٩) .

وكان لبنان يحظى ببعض الاهمية حيث تنعكس فيه الكثير من الصراعات الاقليمية والدولية بشكل مصغر وحيث يأوى طائفة شيعية قوية نسبية . فضلا عن وجود الطائفة الشيعية كان هناك ايضا عاملان لهما اثرهما على العلاقات الايرانية اللبنانية وهما وجود منظمة التحرير الفلسطينية ومقرها ، ثم نفوذ حليفها سوريا .

وقد ادت محاولة ارسال مئات المتطوعين الايرانيين الى لبنان عبر سوريا للاشتراك في الكفاح ضد اسرائيل وحلفائها الى خلق ازمة دبلوماسية متعددة الجوانب (اطلاعات في ٢٩/٩/١٩٧٩) . وبعد عام ١٩٨٢ اتخذ الوجود الايراني في لبنان ابعادا اقليمية اكبر .

٤ - اندلاع الحرب ومسارها

لا تتفق الوثائق الرسمية لكلا الجانبين في عرض اسباب الحرب وشرعيته المواقف المختلفة ولا تتفق في البداية الفعلية للحرب . فالجانب العراقي يسجل بداية الحرب (٢٢ سبتمبر ١٩٨٠) في تاريخ آخر : فقد بدأت ايران العدوان العسكري بالفعل في ٤ سبتمبر (فيرتسلي في ١٩٨١ ، ٣٥) (١) . ويؤيد هذه النظرية قيام وحدات من الجيش العراقي بتحرير جزء من الاراض العراقية التي كانت ايران قد ضمتها اليها بالفعل قبل اكثر من عشر سنوات .

وتزيد الاتهامات المتبادلة - بالاضافة الى الكم الهائل من بيانات الاحتجاج التي نشرها الطرفان - من صعوبة توضيح المسار الفعلي للخلافات في الشهور الاخيرة التي سبقت الحرب . وكانت وزارة الخارجية الايرانية قد ارسلت ثلاثا وخمسين مذكرة احتجاج الى العراق في الفترة ما بين ابريل عام ١٩٧٩ وسبتمبر عام ١٩٨٠ ، احتجت فيها على ٦٣٧ عمليات استفزازية عراقية (الحرب ضد الثورة في ١٩٨١ ، ١١١) وفي الوقت ذاته تلقت ايران ١١٠ مذكرات احتجاج من الجانب العراقي يحمل العراق ايران فيها مسؤولية القيام بعمليات مماثلة

(١) انظر خطاب وزير الخارجية العراقي امام الأمم المتحدة في ٣/١١/١٩٨١ -

أر نفس العمليات (حرب ضد الثورة ١٩٨١ ، ١١٤) . ولكن غالبية مذكرات الاحتجاج كانت متميزة وغير موضوعية وهجومية بدرجة لا يمكن اعتبارها وثائق جدية (٢) . وكانت الصحف ووسائل الاعلام الموالية لايوان والموالية للعراق تستخدم لتبرير موقف كل من النظامين ولذلك اختفت وراء هذه الهجمات المتبادلة الخلفيات الحقيقية للحرب وبدايتها الفعلية (زمزمى ١٩٨٥ ، فسان فرتسلى ١٩٨١) . واكتسبت الخلفيات التاريخية والصراع من اجل السيطرة الاقليمية الذى جرى عرضه فى الاجزاء السابقة من الكتاب شكلا جديدا بعد نجاح الثورة الاسلامية فى ايران . فقد دعمها الحلاف العقدي كما ادت هذه الخلفيات وفى ظل ظروف اقليمية ودولية معقدة جدا الى اندلاع الحرب . ويجب البحث عن الاسباب الفعلية لنشوب الحرب فى ازدهار الابعاد الابدولوجية والسياسية (اى الاقليمية) ولذلك تعتبر الاتهامات المتبادلة حول المصادمات والاستعراضات المفصلة الخاصة بالعمليات العسكرية القتالية ذات اهمية ثانوية .

وفى الوقت الذى كانت تحتفل فيه الثورة الاسلامية بزعامه الخمينى بمرور عام على انتصارها فى ١٩٧٩ قدم الرئيس العراقى صدام حسين للرأى العام فى ٨ فبراير عام ١٩٨٠ مبادرة لاقامة - حلف قومى عربى موحد - ولم يكن التعاون السياسى والعسكرى الذى اقترحه صدام حسين فى هذه المبادرة وتضامن البلدان العربية ضد اى دولة (غير عربية) مقصودا به اسرائيل او غيرها بل القوة الاسلامية الناهضة حديثا فى ايران .

وقد رضخ العراق اثناء المظاهرات فى ايران قبل انتصار الثورة الاسلامية لضغط الشاه بطرد آية الله خمينى الذى كان يقيم منفيا فى مدينة النجف الشيعية المقدسة وقد كانت أنشطة الخمينى فى العراق لمساندة الثورة الاسلامية تتعارض مع المعاهدة التى وقعها كل من صدام والشاه فى عام ١٩٧٥ . ولكن طرد الخمينى لم يكن له نتائج سياسية تذكر على العلاقات بين الدولتين الا أن هذا الحدث قد ترك أثارا عميقة لدى الخمينى وأثر على موقفه الشخصى من النظام العراقى . وقعت بالفعل مصادمات فى الاسابيع الاولى من قيام الجمهورية الاسلامية وكانت البداية الفعلية لنشوب الحرب هو الشعار الايرانى « تصدير الثورة » وخوف العراق ومن ورائه دول الخليج بوصفهم المقصود الاول بذلك . وفى ضوء ذلك يجب أن نوضح العوامل التالية :

(١) أصبح العراق بعد الثورة مباشرة ملجأ لاعضاء الجيش الايرانى وأجهزة المخابرات الايرانية وتحول ذلك الى مركز رئيسى لحركة معارضة جديدة

(٢) انظر على سبيل المثال : وزارة خارجية ايران ، نظرة على الحرب المفروضة طهران ١٩٨٣ ، وايضا : وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، حول الصراع العراقى الايرانى .

مناهضة للاسلام وايران . وكانت بعض العناصر القيادية فى الجيش مثل اللواء « فوزى » ينظمون انشطتهم من العراق . كما استقبل العراق « بختيار » آخر رئيس وزراء فى عهد الشاه استقبالا رسميا (النهار فى ١٩٨٠/٣/١٩ ، السخبر فى ١٩٨٠/٦/٢٠) . وعلى الرغم من تعبير العراق عن ارتياحه لانتهاء نظام الشاه العدو التاريخى نجد ان ازدهار الزورة وما ترتب عليها من خطر على النظام العراقى دفع العراق للتعاون مع المتعاطفين مع الشاه .

(ب) كان اقليم خوزستان (الأهواز) فى عهد انشاء منطقة غير آمنة ومضطهدة تأمل فى الحصول على اصلاحات وعلى الحكم الذاتى وتحظى باصلاح من النظام الحديد .

وكان هذا الاقليم موضوعا دائما فى تاريخ النزاعات بين البلدين وقد تصاعدت المقاومة فى هذه المنطقة وفى كردستان وفى بعض اقاليم الحدود الاخرى بسبب الموقف السلبى للثورة الاسلامية تجاه مشكلة الجنسية (التى كان لها جذور اسلامية اصولية وعقدية) وايضا بسبب الشك فى الاستجابة لمطالب الحكم الذاتى . وساند العراق المنظمات العربية المطالبة بالحكم الذاتى فى هذه المناطق (لوموند فى ١٩٨١/١/٣) ولم يتحول هذا الخلاف الى مظاهرات ومصادمات وأنشطة سياسية فقط بل أيضا الى عمليات ارهابية وعسكرية وحملت ايران العناصر المتحالفة مع العراق مسؤولية تفجير أنابيب البترول ، وعلى هذا الاساس قامت الجماهير الايرانية المتظاهرة فى خورم شهر بالهجوم على القنصلية العراقية (الطلبة فى ١٩٧٩/١١/١٤ ، الجمهورية (بغداد) فى ١٩٧٩/١١/١٥) .

وأكد العراق على الوجهة والطبيعة العربية لهذه المنطقة واعترض على تبعيةها لايران وتشير الكتب والخرائط العراقية الى هذه المنطقة على أنها منطقة عربية تحتلها ايران وفيما بعد نشرت ايران هذه الكتب والخرائط كقرينة على نوايا العراق لتقسيم ايران وكوثائق توضيحية لخطط الضم العراقية (الحرب المفروضة فى ١٩٨٣) وكان التأييد العراقى لحركة الحكم الذاتى فى هذا الاقليم وفى المناطق الايرانية الكردية الموضوع الرئيسى لمذكرات الاحتجاج الايرانية قبل اندلاع الحرب .

(ج) تأثرت المعارضة الشيعية فى العراق باحداث ايران على الرغم من انها اتخذت خطا مستقلا عن ايران . وبعد الحرب مباشرة كثف العراق اجراءات التحكم والقمع ضد الطائفة الشيعية ففى بداية يونيو عام ١٩٧٩ فرضت الاقامة الجبرية على العالم الدينى محمد باقر الصدر بسبب تبادل البرقيات مع الخمينى ورفض العراق بيان احتجاج نشره الخمينى شخصيا باعتباره تدخلا ايرانيا فى الشئون العراقية (النهار فى ١٩٧٩/٦/١٥ ، الأنوار فى ١٩٧٩/٦/١٦) .

وأصبحت المعارضة الشيعية في العراق موضوعا للنزاع بجانب التدهور العام في الموقف بين العراق وإيران واعداد الزعيم الشيعي الصدر وشقيقته قبيل اندلاع الحرب وهي خطوة لم يسبق لها مثيل حتى الآن (بتاتو في ١٩٨١ ، ٨) . وكان الجانب العراقي يعتبر المقاومة الشيعية اليد الطويلة وتدخل في الشؤون العراقية . وفي الاول من ابريل عام ١٩٨٠ حاول أحد النشطين الشيعيين اغتيال عزيز نائب رئيس الوزراء وحمل إيران مسؤولية هذه المؤامرة وهدد بالانتقام (الجمهورية في ١٩٨٠/٢/٨ ، زمزمي ١٩٨٥ ، ٤٩ ، لوموند في ١٩٨١/٤/٣) .

(د) يجب التنويه بخطة العراق لطرد المدنيين العراقيين من أصل إيراني وتعتمد جذور هذه المشكلة الى تاريخ الصراع بين الامبراطورية العثمانية والفارسية على مدى قرن من الزمن . وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى كان من الممكن لسكان العراق الحالي الاختيار ما بين الجنسية العثمانية أو الفارسية . ولكن العراق الحالي بوصفه حليفا للامبراطورية العثمانية لم يعترف الا بالجنسية العثمانية كشرط للحصول على الجنسية العراقية ، ومنح الحاصلين على الجنسية الفارسية فترة محددة للتخلي عن الجنسية الفارسية القديمة والحصول على جنسية عراقية جديدة (الراوي في ١٩٨٠ ، ٤٢ ، ٤٥) ومع ذلك كان في امكان الذين احتفظوا بالجنسية الفارسية الحياة في العراق . ولا يمكن تصنيف جزء كبير من هؤلاء الاشخاص في عداد « الإيرانيين » لأن معظمهم عرب عاشوا على الأراضي العراقية منذ أجيال كثيرة وكان كثير من اجدادهم قد حصل على الجنسية الفارسية لاسباب سياسية أو مذهبية وغالبا حتى يتمكنوا من الهروب من الخدمة العسكرية .

ونتيجة للتوتر السياسي بين العراق وإيران في عام ١٩٧١ بدأ العراق مؤخرا في طرد المواطنين من أصل إيراني . ولكن توقفت هذه السياسة بعد توقيع المعاهدة الإيرانية العراقية في ١٩٧٥ بيد انها استؤنفت مرة أخرى قبل اندلاع الحرب الحالية . وبهذه الطريقة وقبل اندلاع الحرب قام ما يقرب من مائة الف مواطن إيراني بعبور الحدود الى إيران وهم مجردون من امتلكهم وعلى الرغم من ان النظام العراقي كان يكافئ طلاق الزيجات من أصل إيراني نجد أنه قد تمخض عن ذلك الكثير من المآسي العائلية .

(د) وكانت عمليات الترحيل الاجبارية تعتبر عبئا اضافيا على إيران التي تحتم عليها ان تحارب في ظل أزمات اقتصادية طاحنة والتي كانت تعاني من معدل عال من البطالة . وحدثت ردود فعل عنيفة في إيران يمكن ادراجها ضمن الاسباب التي ادت اخيرا الى نشوب الحرب . وكان الهدف السياسي

للعراق هو التخلص من عدو داخلي أي التخلص من « الطابور الخامس » ولم يتمكن غالبية النازحين من الاندماج في إيران واصبحوا يشكلون قاعدة لمعارضة اسلامية عراقية تساندها إيران . ومنذ عام ١٩٨٢ اصبح حق عودة هذه الجماهير الى العراق يشكل شرطا ايرانيا لعقد اتفاق سلام مع العراق .

(هـ) وقعت إيران في عزلة بسبب مشكلة الرهائن ووصلت حدة التوتر مع الولايات المتحدة الامريكية الى اقصاها وادى من جهة أخرى الى نقص في المعدات الحربية وقطع الخيار . وتصاعد - قبل نشوب الحرب - الصراع الداخلي على السلطة في إيران . وكان العراق يعد نفسه بعد الثورة الاسلامية لمواجهة عسكرية واخذ يهدد بالحرب منذ ابريل عام ١٩٨٠ حيث كان العراق يرى أن الوضع الداخلي في إيران بصفة خاصة ، وانهيار الجيش ، والصراع الداخلي على السلطة بالإضافة الى الموقف الخارجي خاصة التوتر مع الولايات المتحدة الامريكية ، والعزلة الدولية كان العراق يرى أن هذه الامور كلها تنذر بالحرب .

(و) وصل التوتر بين إيران ودول الخليج الى درجة عالية ورفض العراق تصورات تأمين المنطقة في اطار جهود الوساطة التي بذلتها سوريا للتقريب بين هاتين الدولتين . كما احتج العراق بشدة على هذه التصورات وأكد انه يحارب دفاعا عن مصالح دول الخليج ضد الخطر الإيراني . وكانت مطالبة العراق باستعادة الجزر الخليجية التي تحتلها إيران والتي تتبع دولة الامارات تتفق مع هذه الرؤية حيث أضفى العراق ابعاد اقليمية على حربه وعلى مطالبه السياسية وأراد بذلك جر دول الخليج الى الاشتراك في الصراع . وكان التنافس العراقي الإيراني القديم على الهيمنة على الخليج وراء هذا الهدف السياسي الذي كان لا يمكن تحقيقه الا بعزلة إيران بدخولها في صراع مع الدول العربية الأخرى .

(ز) دخلت معاهدة الجزائر الى طريق مسدود وأصبح البند الثالث منها - الذي ينص على عدم تدخل أي من الدولتين في شؤون الدولة الأخرى وإقامة تعاون آمن - أصبح غير قابل للتنفيذ في ظل الظروف الجديدة بعد قيام الثورة في إيران ونظرا لان المعاهدة - كما هو منصوص فيها - لا تصبح سارية المفعول الا بتنفيذ كافة بنودها نجد أنها قد فقدت فعاليتها في ظل الشروط الجديدة (الفترتان الثالثة والرابعة من المعاهدة موجودتان في الملحق . انظر الراوي ١٩٨٠ ، ٩٦) اما بالنسبة للعراق فكان تعديل المعاهدة في صالحه .

وفي سبتمبر عام ١٩٨٠ أعلن العراق من جانبه عدم سريان معاهدة الجزائر وذلك انهار الأساس الذي يقوم عليه السلام وبرر العراق اتخاذ هذه الخطوة بحجة ان إيران قد خرقت في الواقع هذه المعاهدة (الراوي ١٩٨٠ ، ٩٨ ، ١٠٠)

وبدأت الاعمال العسكرية في ٤ سبتمبر ويعتبر الغزو الكبير الذي قام به الجيش العراقي في ٢٢ سبتمبر بداية للحرب .

ربط العراق الانتصار السريع بقائمة من الاهداف السياسية بدءا من الاطاحة بالنظام الايراني وتقسيم ايران بسبب مشكلة القوميات حتى ابرام معاهدة بالشروط العراقية . بيد ان هذه الانتصار السريع لم يتحقق وبدلا من ذلك قامت ايران بغزو مضاد . ونحاول تقسيم مسار الحرب في الفترة ما بين سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهاية عام ١٩٨٤ بكل ما فيها من احداث عسكرية وسياسية الى ثلاث فترات رئيسية .

— الغزو وحرب المواقع الثابتة : سبتمبر ١٩٨٠ — مارس ١٩٨١

— التفهقر والغزو المضاد : مارس ١٩٨١ — مارس ١٩٨٤

— حرب استنزاف وحرب المواقع الثابتة : مارس ١٩٨٤

الغزو وحرب المواقع الثابتة

(سبتمبر ١٩٨٠ — مارس ١٩٨١)

(١) الغزو

سيطرت وحدات الجيش العراقي في الفترة ما بين ٤ ، ٢٢ سبتمبر على ما يقرب من ٢٠٠ كيلو متر من الارض الايرانية في منطقة سيف التي تعتبر من وجهة النظر العراقية جزءا من العراق . واستمر تبادل النيران بشكل منتظم بين الجنود المرابطين على طول الحدود في هذه الفترة (زمي ١٩٨٥ ، ٣٩ — ٤١ ، بيرتسلي ١٨٩١ ، ١١٧) .

وفي ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٠ قصفت طائرات مقاتلة عراقية عشر قواعد عسكرية ومطارات ايرانية في آن واحد تقليد الهجمات الاسرائيلية على السلاح الجوي في مصر في بداية ١٩٦٧ . بيد ان الهجوم كان محدودا نسبيا نظرا لتفوق السلاح الجوي الايراني على السلاح الجوي العراقي كما وكيفا وتدريباً لطياريه . وكان يمكن ان يؤثر نجاح هذه العملية تأثيرا حاسما على مسار الحرب .

ومن ٢٣ حتى ٢٤ سبتمبر قام السلاح الجوي في كلا البلدين بقصف مكثف للمنشآت الاقتصادية وخاصة حقول البترول التي كانت نقاطا رئيسية للهجوم . وفي ٢٣ سبتمبر بدأت أكبر عملية برية فقد عبر ما يزيد عن ٢٠٠.٠٠٠ جندي عراقي ، من رابع خطوط الجبهة ، الحدود ، لاحتلال اقليم خوزستان بشكل رئيسي الذي تقطنه اغلبية عربية . وكان الهدف الاول احتلال مدن هذا الاقليم خورمشهر وديسفل وعبدان واحواس (حيث تقع اهم حقول البترول (هيو ١٩٨٤ ، ٥) .

ولم تبد القوات المسلحة الايرانية أية مقاومة منتظمة نظرا لانها لم تكن على استعداد لمواجهة مثل هذا الحدث . وكانت الروح المعنوية والقوة الضاربة في الحضيض بسبب عمليات التصفية والتطهير بعد الثورة . لم يكن عدد الجنود المستعدين للقتال سوى ١١٠.٠٠٠ من بين ٣٢٠.٠٠٠ جندي وكان جزء منهم متورطا بالفعل في الحرب الاهلية المتصاعدة من قبل في كردستان وكان الجزء الاكبر من وحدات الجيش الفنية مرابطا على الحدود السوفيتية ومن الناحية التقليدية كان الثقل الرئيسي لوحدات الجيش الايراني في الشمال وليس الجنوب . وقد عمل الغزو السوفيتي لافغانستان والتوتر بين ايران والاتحاد السوفيتي على تثبيت هذه الاستراتيجية وكانت عمليات التطهير في الجيش وصلت ذروتها قبل الحرب انكشاف خطط انقلابية وطبقا لبعض المصادر اتخذ رجال الدين الحاكون من هذه الخطط ذريعة أن الجيش ليس موضع الثقة . وقامت وحدات من الجيش

تحركت تلقائياً ، بالتصدي للغزو العراقي كما تصدى له الحرس الثوري والحرس المحليون .

واثر عاملان على مصير الغزو العراقي . أولاً : لم يشعر السكان العرب في هذه المنطقة بأى تعاطف مع الغزاة بل تصدوا لهم . وعلى الرغم من تدمير السكان على الحكم الإيراني لم تصدر أية بيانات تعاطف مع العراق على أساس الخراب الذي نجم عن الغزو (زمزمى ١٩٨٥ ، ٤٨ ، لوموند في ٢٨ ، ١٩٨٠/٩/٢٩) . ولم يتمكن العراق في غضون شهر كامل من احتلال أى مدينة سوى مدينة خورمشهر . وكان ٩٠٪ من هذه المدينة قد دمر بسبب مقاومة السكان المكثفة . وبعد شهرين سيطر العراقيون على ما يقرب من ثلث الاقليم وهو جزء مدمر وضئيل السكان . وقد تم اجبار ما يقرب من مليون ونصف مليون من سكان خوزستان للهرب الى وسط ايران . ثانياً : اثبت لاجيش الايراني على عكس التقديرات العراقية ولاءاً كاملاً للنظام وكان العراق يأمل في كسب جزء من الجيش لصفه بيد ان العمليات الحربية قد اثرت في اوساط الجيش الايراني تماماً وشجعت ولاءهم للنظام .

تركزت العمليات الحربية في الشتاء لاسترداد مدينة عبادان المحاصرة من القوات العراقية . وفي شهر ديسمبر فتح الجيش العراقي جبهة جديدة في كردستان الايرانية ولم يحالفه النجاح لنفس الأسباب التي واجهته في خوزستان ، حقيقة كانت الحركة الكردية تحارب النظام الايراني اعتماداً على مساندة العراق بيد انها لم تربط نفسها بالاستراتيجية العراقية . وفي يناير عام ١٩٨١ حاولت ايران القيام بهجوم صغير بيد انه تعثر . وفي شهرى نوفمبر ومارس لاحت مظاهر الانهك على الجيش العراقي وطبقاً لجميع الظواهر لم يعد قادراً على مواصلة الهجوم بنجاح

ب - حرب المواقع الثابتة

استطاع العراق السيطرة على ما يقرب من ١٤٠٠٠ كيلو متر مربع ، ونظراً لأنه لم تكن هناك بوادر على تحقيق نصر سريع أو نهاية للحرب ركز قواه على بناء تحصينات وخطوط دفاعية . وخلال عام تقريباً أى بدءاً من مارس ١٩٨١ حتى مارس ١٩٨٢ نظمت ايران المقاومة في خوزستان ولكنها لم تتمكن من بدء هجوم كبير يمكن ان يرغم القوات العراقية على الانسحاب . وبمرور الزمن انقلب الحظ ليصبح حليفاً لايران . فقد قام سلاح انجو الايراني بتعطيم ٤٦ طائرة عراقية مقاتلة في غارة ناجحة على قاعدة لسلاح الجو العراقي .

وادعت الحكومة العراقية ان الطائرات الايرانية قد اقلعت من قواعد سورية (هيرو ١٩٨٤ ، ٧ : شتاونمير ١٩٨٢ ، ٨٤ ، ٢٤) .

ان نملة تطوراً جديداً فرض نفسه في هذه الآونة هو المجال الاقتصادي . فقد كانت ايران بعزلتها المتزايدة من أزمات اقتصادية ولكنها زادت اخيراً من انتاجها للبترول . وباعته بأقل من مستوى الأسعار الذي حددته منظمة الأوبك وترتب على ذلك ارتفاع عائدها من البترول في ابريل عام ١٩٨٢ ليصبح مقرباً للمستوى الذي كان عليه قبل الحرب . ومن جهة أخرى عطلت أحداث الحرب تصدير البترول العراقي من أهم حقوله في الجنوب ونتيجة لذلك لم يتمكن من تصدير سوى ثلث الكمية المعتادة عبر أنابيب البترول الممتدة عبر سوريا وتركيا (هيرو ١٩٨٤ ، ٨) واستنفد العراق - الذي يعد أقوى من ايران من ناحية العائد البترولي - احتياطه من العملات الأجنبية (ما يقرب من ١٥ مليار دولار) وأصبح يعتمد مالياً على دول الخليج .

وادت الاحداث الداخلية في ايران الى تقوية القوى انداعية لمواصلة الحرب وأدى التخلص من الرئيس بنى صدر والقوى المعارضة الأخرى الى وقوع السلطة السياسية في ايدي الأصوليين الاسلاميين الذين يؤيدون مواصلة الحرب .

وتمكنت وحدات الجيش الايراني من احراز نصر جزئى في العمليات البرية أيضاً - ففي صيف ١٩٨١ أمكن اختراق الحصار العراقي لمدينة عبادان وفي نوفمبر استولت وحدات ايرانية على تحصينات على طول نهر قارون الذي يعتبر خطاً دفاعياً جغرافياً هاماً . ويمكن وصف هذه الفترة ابتداءً من مارس ١٩٨٢ بأنها فترة حرب المواقع الثابتة فلم يتمكن أى طرف من تحقيق نجاح كاسح (شتاونمير ١٩٨٣ ، ١٢٨٠٢ ، هيرو ١٩٨٤) .

ومن الناحية السياسية وصل الغزو العراقي لايران الى طريق مسدود وانخفضت المطالب العراقية الرسمية عملياً عند نهاية هذه الفترة الى الصفر ونم يبق سوى مطلب الانسحاب الحر وغير المشروط .

كان العراق قد أعلن في بداية الحرب تحرير عربستان البلد العربي (خوزستان) وذكر نائب رئيس الوزراء ان حقول البترول في خوزستان حقول عربية وطالب بأحقية العراق بها (هيرو ١٩٨٤ ، ٦) وفي بداية الحرب كانت هناك مبادرات عديدة من جانب الأمم المتحدة ودول عدم الانحياز ومنظمة الدول الإسلامية لتسوية الخلاف وانهاء الحرب . هذا ووضع العراق - الذي كان يفكر في انتصار سياسى سريع - الشروط التالية للسلام .

- * عودة كل شط العرب الى سيادة العراقية .
- * تعديل الحدود نظراً لان العراق قد شعر بأنه تعرض للخسائر في معاهدته الجرائر .
- * عودة الجزر الثلاث التي تحتلها ايران للعرب .

* عدم تدخل ايران في الشؤون الداخلية العراقية (زمزمى ١٩٨٥ ، ٩٩ ، لوموند في ١٩٨٠/٩/٢٧ ، ١٩٨٠/٩/٣٠ ، ١٩٨٠/١٠/٣) .

ولم تطالب دول الخليج على الاطلاق باستعادة الجزر ولم تجمل من العراق متحدثا عن مطالبها . وكان الموقف الايراني واضحا وهو رفض أى وقف للقتال الى أن يتم الانسحاب غير المشروط للقوات العراقية وادانة المنظمات الدولية للغزو العراقى وقد قيل ذلك بوضوح « لاولوف بلم » المبعوث الخاص من الأمم المتحدة . وقد حاول العراق - الذى كان مهتما بالتوصل الى حل سريع للمشكلة - ممارسة ضغط عسكري اكبر على ايران عن طريق محاولته احتلال مدينة سوسنجارت في ١٩ ، ٢٠ مارس عام ١٩٨١ ، بيد أن الجيش العراقى قد منى بهزيمة نكراء في هذه المحاولة الأمر الذى كلن يعتبر اشارة واضحة على حالة الجيش العراقى المنهك . ولقد كانت معركة سوسنجارت نقطة تحول من مرحلة الغزو الى مرحلة حرب المواقع الثابتة خلال الفترة الاولى للحرب .

ولم تنجح الخطة العراقية لاستغلال تدمير الأقلية القومية في ايران باستثناء نجاح جزئى في كردستان . وكانت التوقعات العراقية تذهب الى أن شخصية ايران الشعبية تمثل نقطة الضعف التى يمكن أن تؤثر على مسار الحرب (وكانت وسائل الاعلام العراقية تتحدث في الغالب من شعوب ايرانية وليس عن شعب ايرانى) . وكثيرا ما كان الرئيس العراقى صدام حسين يوجب رسائله المفتوحة الى « الشعوب الايرانية » . وفي بداية الحرب دعا العراق الشعوب الايرانية الى التحرر من نظام الحمينى والتعاون مع العراق ، ويتضح من ذلك أن الهدف العراقى كان تغيير نظام الحكم في ايران (انظر زمزمى ١٩٨٥ ، ١٠٠) .

فشلت الجهود الايرانية لكسب الشعب العراقى باستثناء بعض منظمات دات ميول سياسية واتجاهت معينة ولم تجد نداءات الخمينى للقبائل العراقية للثورة على النظام ولسكان المدن للتوقف عن دفع الضرائب واية مستحقات عامة أخرى لم تجد هذه النداءات الا صدى ضئيلا . واتضح في هذا المجال مدى جهل النظام الايرانى بخواص النظام العراقى وظروف الصراعات الداخلية في العراق . وفي ابريل عام ١٩٨١ . أعلنت ايران بما لا يدع مجالا للشك أن هدفها هو الاطاحة بنظام حكم صدام حسين (هيو ١٩٨٤ ، ٦) .

وكلما ازداد اليأس في مسار الحرب وكلما زاد الخصمان من المناورات في المواقع الحربية الثابتة كلما اصبحت رؤيتهم للهدف أكثر بعدا عن الواقع اتساعا . وجرى ترتيب التحالفات في الفترة الاولى على المستويين الاقليمى والدولى لمواصلة الحرب . وايد الاردن فقط العراق صراحة وبذلك فشلت خطة العراق لتعريب الحرب فقد اعربت المملكة العربية السعودية ودول الخليج من تأييدها السياسى الحذر للعراق كما قدمت له مساعدات مالية سخية بيد انها

رفضت اى تدخل عسكري ، هذا ووضع الكويت اراضيه وخليج العقبة في الاردن تحت تصرف العراق . ولكن الهجوم الجوى الايرانى على قوافل النقل العراقية بالسيارات في الاراض الكويتية دفع لكويت لاتخاذ موقف أكثر حزمًا (هيو ١٩٨٤ ، ٦) .

كان الموقف الايرانى يحظى بتأييد سوريا وليبيا وبتأييد اقل من الجزائر واليمن الجنوبي مما أدى الى فشل الخطة العراقية التى تهدف لاقامة تضامن عربى قوى مع العراق . وفي نوفمبر عام ١٩٨١ اتسع نطاق حملة المتطوعين المصريين للعراق (هيو ١٩٨٤ ، ٨) وفي ديسمبر أعلنت البحرين عن محاولة انقلاب قامت بها منظمة موالية لايران الأمر الذى فهم على أنه تحذير لدول الخليج (هيو ١٩٨٤ ، ٨) . وابتداء من فبراير عام ١٩٨٢ انشغل مجلس التعاون الخليجى بوضع خطط لأمن الخليج وقدمت الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها آراء مشابهة (انظر أنتونى ١٩٨ ، ١١٢ - ١١٤) .

٢٠٤ - الانسحاب والفرار المضاد

مارس ١٩٨١ - مارس ١٩٨٤

(١) انسحاب القوات الإيرانية

لاحت في ربيع ١٩٨٢ بوادر هجوم مضاد من جانب القوات الإيرانية . وتوقع الجيش العراقي الهجوم الإيراني على خورم شهر بيد أن إيران هاجمت خطوط التحصينات الشمالية عند ديسفول . ووقع الهجوم في ٢١ مارس العيد الوطني العراقي وكان لابد أن يشير هذا التاريخ الرمزي وطنية وحدات الجيش الإيرانية . حيث اشترك ٢٠٠.٠٠٠ جندي إيراني في هذه العملية واستخدمت المدفعية وطائرات الهليكوبتر بجانب الأسلحة الخفيفة والمتوسطة (صواريخ آر.بي.جي. ٧ ، آر.بي.جي. ١٠٠٠٠) وفي فتيرة وجيزة تم تحطيم خطوط التحصينات العراقية وتدمير ثلاث وحدات للجيش من بينها وحدة للمشاة الميكانيكية كما أسر ١٥٠.٠٠٠ جندي عراقي (شتاونماير ١٩٨٢ ، ٤٠) .

وكان الجيش العراقي الذي كان يتوقع هجوما إيرانيا منذ وقت طويل قد أصيبت بالانهك كما تحطمت معنوياته القتالية . بعد أن كان العراق قد دخل الحرب بتطلعات واسعة في البداية أعلن الآن استعداده للانسحاب غير المشروط . وقد أثار الموقف المتغير داخل أواسط الجيش تساؤل عن جدوى الحرب وأثر تأثيرا مهبوطا للعزيمة . وهذا هو السبب المباشر لانهايار السريع للجيش العراقي الذي كان مفاجأة للمراقبين الغربيين أنفسهم . وبعد الانتصار اعتدت إيران نفسها لاستعادة مدينة خورم شهر ولكنها تركت لنفسها مهلة كتفت خلالها الضغط الاقتصادي والسياسي على العراق . .

وفي ٨ أبريل أغلقت سوريا حدودها مع العراق بحجة مساندة العراق للمسلمين المعارضين ، وبعد يومين أوقفت خط أنابيب البترول العراقي في بانياس على البحر المتوسط وفي الوقت الذي استطاعت فيه إيران رفع مستوى إنتاج البترول الى نفس مستواه قبل الحرب ، انخفض هذا المستوى في العراق ليصل الى ٦٠٠.٠٠٠ برميل يوميا . ونتيجة لذلك وجد الرئيس العراقي صدام حسين نفسه مرغما على فرض سياسة تقشفية صارمة في بلاده . والغيت في ظل سياسة « شد الحزام » العديد من الامتيازات أو خفضت .

وأدت الاجراءات السورية الى تضامن المصور العربي مع العراق وذكرت مصادر غير رسمية أنباء عن مرابطة أكثر ٢٠.٠٠٠ جندي أردني في العراق . أما مصر فباعت للعراق في مارس ١٩٨١ أسلحة بلغت قيمتها مليون ونصف مليون دولار (واشنطن بوست في ١٩٨٢/٥/٢١) كما شجعت اشتراك المتطوعين المصريين في الحرب . ومن بين المليون المصري العاملين في العراق تطوع ما يقرب من ١٥٠.٠٠٠ و ١٧٠.٠٠٠ في خدمة الجيش العراقي . وقد انكر العراق وجود أية وحدات أردنية أو مصرية نظامية بيد أنه أعلن النحاق ١٤.٠٠٠ عربي من دول عربية أخرى (مصر والاردن والسودان والمغرب وبونس وأيمن الشمالي) بالجيش الشعبي العراقي (هير ١٩٨٤ ، ٨) .

واقترح العراق الذي كان يخشى هزيمة في خورم شهر هدنة للانسحاب غير المشروط لجيشه . ورفضت إيران هذا العرض لأنها كانت تدرك مدى الضعف الذي أصاب العراق وفي ٢١ مايو بدأت إيران الهجوم على الجنود العراقيين الـ ٣٥٠.٠٠٠ الذين كانوا يحاصرون خورم شهر بحوالي ٧٠ ألف جندي إيراني ولم يكن هناك صدى للنداء العراقي الذي وجهه الى الجامعة العربية . وفي ٢٤ مايو انهار الجيش العراقي ووقع ١٢٠.٠٠٠ جندي عراقي أسرى في أيدي الجيش الإيراني . وبعد تحرير خورم شهر ركزت إيران عملياتها في المناطق الواقعة في القطاعات الشمالية والوسطى من الجبهة والتي كانت تزال محتلة من العراق .

حددت إيران الآن أهدافها السياسية من الحرب بشكل مادي . وسعيا الى تحييد دول الخليج أظهرت عدم اهتمامها بالتدخل في شؤون تلك الدول . وأصبح السلام ممكنا من وجهة النظر الإيرانية في حالة عزل الرئيس العراقي . وتشاورت كل من المملكة العربية السعودية وسوريا حول الخليفة المتوقع لصادق حسين . وقد اقترحت المملكة العربية السعودية شفيق دوراشي لهذا المنصب الذي كان سفيرا للعراق في الرياض كما كان رئيسا سابقا لجهاز المخابرات وسكرتيرا سابقا لمجلس الثورة العراقي . أما سوريا فقد شجعت فكرة عودة الرئيس العراقي السابق البكر الذي استطاع تسوية الصراعات المستعرة بين أجنحة حزب البعث في ربيع ١٩٧٩ وتمكن بذلك تحقيق التقارب مع سوريا الى أن استبعده نائبه صدام حسين (جارديان في ١٩٨٢/٦/٢١) .

ولا يعمل على المعلومات الخاصة بالمفاوضات السرية ومن الممكن تماما أن يكون الإيرانيين . الذين كانوا يشعرون بموقفهم القوي - قد أبدوا عدم استعدادهم لقول مرشح يقبل التسوية . فقد تم اعدام عدد من السياسيين من بينهم إبراهيم وزير الصحة - الذين كانوا يؤيدون اقتراحات التسوية على أساس أنها في مصلحة العراق .

وفي ٢ مايو تقدم مجلس التعاون الخليجي اقتراحا بوقف اطلاق النار لمدة عشرة ايام حتى يتم انسحاب الجيش العراقي واجراء مفاوضات جديدة بين الاطراف المتنازعة على اساس اتفاقية الجزائر ورفضت ايران هذا الاقتراح ايضا (هـ ١٩٨٤ - قارن الجارديان في ١٩٨/٥/٧) .

واضاف غزو اسرائيل للبنان في اوائل يونيو عام ١٩٨٢ عنصرا جديدا للحرب . وقد حول العراق الاستفادة من هذا الوضع حيث دعا الى انتهاء الحرب والنضال المشترك ضد اسرائيل . وردت ايران بشكل واضح ان « تحرير القدس يمر عبر كربلاء » (زمزمى ١٩٨٢ - ١٢٢ - ١٢٣) .

الغزو المضاد

رفضت ايران في ١٢ يوليو ١٩٨٢ اقتراحا من جانب مجلس الامن يتضمن عدنة يتم خلالها انسحاب كل من الجيشين . وكانت ايران تخطط للقيام بغزو للعراق بهدف الاستيلاء على البصرة ثانيا اكبر المدن العراقية . وفي الفترة بين ١٢ حتى ٢٢ يوليو وصلت القوات الايرانية الى مواقع مجاورة لها من المدينة بيد انها لم تتمكن من الاستيلاء عليها . وقد تكبدت ايران خلال المعارك الحربية اكبر خسائرها من الجنود (هـ ١٩٨٤ ، ١٠ ، أنظر زمزمى ١٩٨٥ ، ١٢٧) . ويرجع الفضل في نجاح العراق الى سلاحه الجوي القوى والى اكبر قوة للنيران والى الخطوط الدفاعية التي انشاها خبراء عسكريون اجانب على احدث النظم وبلاضافة الى ذلك لعبت الروح القتالية للقوات العراقية التي كانت تحارب على ارضها وليس على ارض اجنبية دورا اساسيا وكانت ايران لا تضع هذا العامل في اعتبارها في العمليات الايرانية الاخيرة .

بيد ان ايران تمكنت من احراز نصر دبلوماسي ، وتحت الضغط الايراني تم إلغاء مؤتمر عدم الانحياز الذي كان سيعقد في العراق ونقل الى مكان آخر (وكان العراق قد اعد قائمة مؤتمرات جديدة لهذا الغرض كما كان صدام حسين يأمل في رفع مكانته) .

وقدمت ايران مطالب جديدة : —

— ادانة الغزو العراقي .

— حق العودة لمئات الاولوف من الشيعة الذين طردوا من العراق .

— دفع مائة مليار دولار كتعويض عن خسائر الحرب (هـ ١٩٨٤ ، ١٠) .

وفي شهر سبتمبر ونظرا لاقترب موسم الحج تقدم مؤتمر فاس باقتراح حديد لوقف القتال وهو : انشاء صندوق اسلامي خاص لاعادة التعمير تشترك في تمويله الدول العربية البترولية ويتولى دفع التعويضات المطلوبة ولكن ايران رفضت هذا العرض ايضا نظرا لانها كان مهتمة اساسا باحداث تغيير رانيكالى في نظام الحكم العراقي . وابتداء من نهاية شهر اكتوبر عام ١٩٨٢ حتى يوليو عام ١٩٨٣ نظمت ايران هجمات موسعة في القطاع الاوسط للجبهة (تجاه بغداد) وفي المنطقة الكردية في الشمال عن طريق ما يسمى « بالحوائل البشرية » وقد كبدت هذه العمليات ايران خسائر فادحة ولم تحقق سوى نجاح نسبي فقط . فقد تمكنت ايران حقا من كسب اراض جديدة بيد انها لم

تستطع الاستيلاء على اية مدينة أو على الطريق الاستراتيجي بين بغداد والبصرة .

اما بالنسبة لقطاع التسليح فقد تحول (البترول) لصالح العراق الذي كان قد فقد أثناء فترة الانسحاب والغزو الإيراني المضاد ١١٧ طائرة و ٢٢٠٠ دبابة ولكنه تمكن بسرعة من تعويض هذه الخسائر . وأعاد العراق بنسبة اسطوله الجوي بحوالي ٢٢٠ قطعة من الطائرات الصينية الصنع (ام . ان سي . ١٩ ، ام . ان . سي ٢١) التي اشترتها من مصر بالإضافة الى طائرات الميراج الفرنسية (هيرو ١٩٨٤) . وعاد الاتحاد السوفيتي ، الذي كانت أسلحته في بداية الحرب تشكل ٨٥٪ من الاسلحة العراقية والذي كان قد خفض امداداته من الاسلحة بشكل كبير ، وعاد الى تكثيف هذه الامدادات بسبب الغزو الإيراني المضاد ورفع الحظر الذي كان مفروضا على مبيعات السلاح وحصلت ايران على مواد التسليح من كوريا الشمالية ومن سوريا وليبيا من السوق السوداء الدولية كما تمكنت ايضا من تنظيم الحصول على قطع غيار اسرائيلية الصنع اطائراتها وكان التنص في التسليح واضحا بالنسبة للسلاح الجوى ولم تتمكن الحوائط البشرية أن تحل محله وانخفض عدد المقتلات في فترة الحرب من ٤٧٥ الى ٨٠ طائرة (هيرو ١٩٨٤ ، ١٠ ، أنظر شاوونماير) .

وكانت هناك ظروف سياسية مسئولة عن فشل الغزو الإيراني المضاد والهجمات الإيرانية المضادة . ففي الفترة التي تلت النجاح العسكري العراقي في كردستان (احتلال منطقة حاج عمران) أعلنت ايران أن توحيد المعارضة الشيعية في العراق فيما يسمى بمجلس الثورة الاسلامية في العراق يعتبر بديلا عن النظام الحاكم ، بيد أن هذا البديل الشيعي المتحالف مع ايران لم يلق سوى قول ضئيل بين الشعب العراقي خاصة في كردستان . ويمكن الإشارة الى أسباب أخرى أدت الى فشل الغزو الإيراني المضاد كالعزلة النسبية للبلاد والمحاولات التي بذلت من أجل كسب النفوذ السياسي في العراق ، مما ساعد صدام حسين على مساعدات غير متوقعة . وعلى الرغم من التفوق العسكري الإيراني في النصف الاول من عام ١٩٨٢ نجد أن العوامل السياسية - وخاصة تأييد الدول الكبرى والاقليمية للعراق - أدى الى افشال الأهداف الإيرانية لتغيير نظام الحكم العراقي (هيرو ١٩٨٤) .

واستطاع الجيش العراقي حقا إيقاف الزحف نحو مدنه ، بيد أنه لم يتمكن من طرد الجيش الإيراني خارج البلاد بل قلم العراق بقصف المدن الإيرانية . وفي يناير عام ١٩٨٧ امدت فرنسا العراق بأحدث الطائرات وهدد العراق بقصف حقول البترول الإيراني وكان العراق ينفى تحقيق هدفين من هذا التهديد :

أولا : اجبار كل من ايران وسوريا على فتح خط انابيب البترول العراقي المتوقف على البحر المتوسط .

ثانيا : توريث دول الخليج والدول الكبرى في الصراع للتعجيل بانتهاء الحرب .

واعلنت الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية وخاصة فرنسا في هذه الفترة تأييدها للعراق وذلك للحيلولة دون أي هجوم إيراني حيث كانت الولايات المتحدة الامريكية تسمى أساسا الى تأمين حلفائها في الخليج وتأمين مصالحها الاستراتيجية ، أما فرنسا فقد كان اهتمامها منصبا على الحفاظ على مصالحها كمنتج للأسلحة مورد لقطع الغيار لنظام صدام حسين (هيرو ١٩٨٤ ، ١١) وقد وصفت قيمة صادرات الاسلحة لفرنسية في الفترة من سبتمبر عام ١٩٨٠ حتى نهاية عام ١٩٨٢ حوالي ٦ مليارات دولار ، وتمت تغطية عملية الدفع عن طريق قرض فرنسي (هيرو ١٩٨٤ ، ١١) . وكان انتقال السلطة الى نظام اسلامي موال لايران يعني اصابة فرنسا بخسائر اقتصادية فادحة الى جانب النتائج الإقليمية غير المرجوة وقد كان ممكنا أيضا أن تتزايد حجم هذه الخسارة في حالة رفض هذا النظام إعادة دفع الالتزامات القائمة .

وفي عام ١٩٨٢ ، احتلت ايران مناطق جديدة في بن جوين في كردستان العراقية واضطر العراق الى ارسال قوات الحرس الجمهوري للدفاع عن المناطق واستخدام الاسلحة الكيميائية لأول مرة . وقصف المدن الإيرانية بأحدث الصواريخ من طراز سكود بي واجبر الهجوم على السفارة الأمريكية (في ٥ نوفمبر) ومنشآت كويتية من قبل المنظمات الموالية لايران والكويت على وقف تأييده للعراق .

وفي فبراير عام ١٩٨٤ بدأت ايران في شن هجوم جديد على الجبهة الجنوبية بهدف الاستيلاء على مدينة كورنا الواقعة على ملتقى نهري دجلة والفرات عند مدخل شط العرب . وفي ٢٢ فبراير أعلنت ايران نجاح هذه العملية ، الأمر الذي كان مجافيا للحقيقة ، فالوحدات الإيرانية كانت قد وصلت بالفعل الى الطريق الذي يربط بين بغداد والبصرة الا أنها أجبرت على التراجع وقد احتلت القوات المسلحة الإيرانية في سياق هذه المعارك جريده مجسر الغنية بحقول البترول غير المستغلة .

بعرض العراق في هذه الحقبة لضغط مكثف لم يستطع الصمود أمامه إلا بالمساعدات العسكرية الضخمة من الاتحاد السوفيتي وفرنسا ومصر . واعتبرت الصحافة العالمية في عام ١٩٨٢ تغيير الحكم في العراق يتفق مع المصالح الإيرانية وأما محتمل الحدوث ، بيد أن الهجوم كان مازال بعيدا عن هذا الهدف على الرغم من النجاح الجزئي الذي أحرزته القوات الإيرانية .

٢/٤ حرب الاستنزاف وحرب جديدة

للمواقع الثابتة مارس ١٩٨٤

يعتبر التوتر في الخليج وما يسمى « بحرب الناقلات » علامة بارزة لبداية هذه الفترة فقد كان السلاح الجوي العراقي قد هاجم ٥٠ ناقلة وسفن أخرى في الخليج في السنوات الثلاث الأولى من الحرب وكان العراق يهدف من وراء ذلك الى تدمير محطة تصدير البترول الإيرانية في « جزيرة خرج » وفي ١٢ أغسطس عام ١٩٨٢ أعلن العراق أن الجزء الشمالي من الخليج يعتبر منطقة عسكرية محظورة . وفي الفترة من ١٨ الى ٢٥ أغسطس قصفت الطائرات العراقية المقاتلة أجزاء من هذا الميناء البترولي ، ولكن لم يؤثر على تصدير البترول الإيراني الا بدرجة ضئيلة . وفي ٢٧ مارس عام ١٩٨٤ استخدم العراق الامدادات العسكرية الفرنسية ودمر أجزاء هامة من الميناء البترولي الامر الذي كان له اثر بالغ في هذه المرة على تصدير البترول الإيراني ، وهددت ايران هذه المرة باغلاق مضيق هرمز وكان يمكن ان يشل ذلك حركة الملاحة في الخليج ، ويجهد الجزء الأكبر من صادرات البترول لدول الخليج وكان الاسطول الإيراني الذي كان متوقفا على الاسطول العراقي منذ بداية الحرب بالاضافة الى ساحل الخليج الإيراني الطويل يشكلان تهديدا جادا على دول الخليج . وقد دفعته الرغبة لضمان أمنها في ابداء استعدادها وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية للتفاوض (هيو ١٩٨٤ ، ١٢) .

وفي ٢٥ أبريل أصابت صواريخ عراقية احدى الناقلات السعودية وكانت قد أبحرت من ميناء خرج الإيراني . وفي ٧ و ١٥ مايو دمرت أيضا ناقلتين أخرتين في هجوم جوي . وادى ذلك الى خلق موقف متوتر للغاية في المنطقة دفع الراي العالي الى اعادة تذكر هذه الحرب المنسية .

وخضع العراق لضغط دول الخليج المهددة ، والتي تساند العراق ماليا وأوقف حرب الناقلات للحيلولة دون حدوث تصعيد أكبر في الخليج . وفي ١١ يوليو عام ١٩٨٤ قبلت الدولتان المتحاربتان مبادرة من الأمم المتحدة . فقد أثرت حرب الناقلات على الأوبك وعلى تصدير البترول والإيراني . وارتفعت أسعار التامين في مايو ١٩٨٤ من ٧٥٪ الى ٧٥٪ (هيو ١٩٨٤ ، ١٣) . وادى الهدوء ، خفة حدة التوتر النسبي في الموقف في الخليج الى عدم تدخل الدول الكبرى في أحداث الحرب ، بيد أن ذلك كان يعنى اطالة أمد الحرب البرية . ونظرا للخسائر الفادحة تم استبدال (التاكتيك) الإيراني — أي فاستبدلت ايران بالهجوم الكبير عن طريق الحوايط البشرية — حرب استنزاف طويلة .

وعلى أساس ما سبق ذكره من عوامل أساسية لا يبدو أن هناك نهاية قريبة للحرب . فقد أدت الحرب الى الخروج الى الحياض على التوازن في تن من ايران والعراق وثبتت عزز كلتا الدولتين عن تحقيق نجاح حاسم ولذلك ليست هناك نهاية لحرب الاستنزاف ولحرب المواقع الثابتة .

وآثرت العوامل الإقليمية والدولية على الطريق المسدود بقدر تأثيره بالهيكلة الداخلية للدولتين المورطتين في الحرب والتناقضات الثقافية والدينية والقومية فيهما .

وستتناول الجزء الثاني من الكتاب تحليلا لهذه العوامل وأثارها على مسار ونتائج الحرب . ويعتمد الوصف العسكري للمسار العسكري للحرب في هذا الكتاب أساسا على مقال ديبوب هرو في ميريب ريبورت عدد ١٢٥ ، ٢٦ سبتمبر عام ١٩٨٤ .

٥ - مدخلات الحرب وتأثيراتها

تحولت المواجهة العسكرية بشكل متزايد الى وضع الجمهور بين كذا نظريتين وأصبح البحث عن الحل السياسي غير وارد بالرغم من حرب الاستنزاف . وفي خريف سنة ١٩٨٢ أخذت الحرب الإيرانية بعدا جديدا ، فمن ناحية تزايد خطر امتداد ويلات الحرب الى الدول الخليجية مع احتمال تورط القوى العظمى . ومن ناحية أخرى تحول الصراع وبشكل متزايد الى المستوى الاقتصادي . وولد ذلك في البداية انطبعا بأن طرفي الحرب ربما تمكنا من الخروج من الطريق العسكري المسدود للحرب واتجها الى حل سياسي .

وأوضحت الحرب الاقتصادية التي وصلت الى ذروتها بالتدمير الجزئي لميناء تصدير النفط الإيراني ، مدى ما أصاب الدولتين وأظهرت في نفس الوقت بجلاء صعوبة تدمير القدرات والطاقت الاقتصادية لكلا البلدين بشكل كامل كما بينت قدرة التكيف للهيكل الاقتصادية مع الظروف المتغيرة ، وسنحاول في هذا الفصل تحليل المدخلات السياسية والاقتصادية للحرب في كلا البلدين وكذا تأثيرات هذا الصراع على المستوى الإقليمي وعلى سياسة القوتين العظميين

على الرغم من أن حجم الحرب قد فاجأ ايران واصابها داخلية وخارجية خائفة نجد ان الحكام الايرانيين وصفوا الحرب لاية الله الخميني على انها « هبة من السماء » . ورحب قطاع من المؤسسة الايرانية الحاكمة بهذه الحرب على المدى الطويل انطلاقا من مصالح واضحة وجلية واطماع اقليمية وهيأت هذه الحرب لحكام ايران تحقيق الاهداف الداخلية التالية :

- تعبئة الجماهير ضد أي عدو خارجي لتأمين القاعدة غير المستقرة للجمهورية الايرانية الجديدة من وجهة نظر النظام .

- القضاء على المعارضة ، خاصة من التيارات اليسارية والوطنية وكذلك أيضا ما يصفه الحكام المتشددون بالاتجاهات الاسلامية الليبرالية التي يمثلها بنى صدر .

- أخفت الحرب الازمة الاقتصادية الطاحنة واصبحت غير مسؤولة عن عدم الوفاء بأغلب الوعود التي قطعها الثورة على نفسها وعلى الرغم من الخراب والخسائر البشرية وتدمير المنشآت الاقتصادية رسخ وضع الحكام الايرانيين وتوطدت الدولة ومؤسساتها .

ويمكن بيان المؤثرات السياسية على جهاز الدولة كما يلي :

(أ) قوى مركز الجيش الذي كان ضعيفا قبل اندلاع الحرب وغير منظم في بداية الحرب ونقصه بعض التجهيزات وكان لا ينعم بثقة الحكام الجدد بوصفه حاملا لايدولوجيات ما قبل الثورة القديمة واعيد تنظيمه ورد اعتباره سياسيا وصار من أهم عوامل الحكم وكان الجيش قد تعرض قبل الحرب لبعض حملات التطهير واصبح الخميني يطلق عليه الآن جيش الاسلام وجيش امام الزمان (أي المهدي المنتظر المخلص للشيعة) .. (انظر رسالة الخميني في ١٩٨١/٣/٤) .

(ب) حقق الحرس الثوري الذي يمثل إحدى الجماعات الموالية لايدولوجيا لنظام الحكم ، نفوذا واسعا ابان الحرب فمن ناحية زاد عدد أفرادها الى ما يزيد عن مائة ألف وازدادت قوته بانضمام مئات الالاف من المقاتلين المتطوعين . ومن ناحية أخرى استغل الحرس الثوري الحرب ودوره فيها لتحسين تسليحه بأسلحة خفيفة وثقيلة (صحيفة جمهوري اسلامي في ١٩٨٠/١١/١٢) : فضلا عن ذلك حظى الحرس الثوري بأهمية سياسية متعاظمة في الصراعات الداخلية على الحكم مما أدى الى تعيين وزير مسئول عن حرس الثوري الى جانب وزير الدفاع وأكد الحرس الثوري في هذه الحرب انه يمكن أن يكون بديلا

من الجيش أو على الأقل هو تنظيم مواز له القوة والأهمية . وفي الوقت الذي كان الجيش النظامي يعمل فيه على الجبهة كان الحرس الثوري يتولى الاشراف على المواقع الاستراتيجية في البلاد وفي مقدمتها أهم المدن وأمن لنفسه بذلك قاعدة نحو أي قادم على الحكم .

(ج) ترشيح بروقراطية الدولة بعد القضاء على اتجاهات معينة وتوحيد الساسة القيايين بعد انشاء جهاز تسمى منظم . وفي المجال الاقتصادي عملت القيادة الدينية على وقف أي خطوات أخرى للشأيم وكان من الممكن أن تؤدي الى تنامي السلطة الاقتصادية للدولة . ونظرا لان الحرب تدعم الاتجاهات المركزية نجد أن احتمالات حدوث مثل هذا التطور مازالت قائمة .

وآثرت العوامل التالية بشكل سلبي على الموقف في ايران :

- العزلة الدولية بسبب خطف الرهائن وما أدى ذلك من عقوبات .

- الصراع مع دول الخليج مما أدى الى دعمها للعراق .

- وجود مشاكل داخل القيادة المستقلة للقطاع الصناعي .

- وجود نقص في التكنولوجيا المتقدمة وفي نوعيات الاسلحة المتخصصة وفي القبل افادت العوامل التالية الموقف الابرائي :

- ترامي مساحة البلاد وما يرتبط بذلك من ترامي مساحة العمق ومرونتها استراتيجيا وعسكريا .

- زيادة عدد سكان ايران ثلاث مرات على سكان العراق مما سمح لطهران بتعويض الضعف الفني بالتفوق البشري .

- القوة الايديولوجية لدى ايران افادت في القيام بعملية تعبئة واسعة أثناء الحرب ، مما أتاح قاعدة سياسية آمنة للحكام .

- الاعتماد المحدود غير المطلق على البترول بالمقارنة مع العراق ، مما ترتب عليه تحدد في الحرب الاقتصادية وتحدد استيراد المواد الغذائية ومساهمة جزء كبير من رأس المال الخاص في الصناعة .

أما الصعوبات الأخرى مثل المعدل العالي للبطالة وتدفق اللاجئين فقد حاولت ايران الحد منها عن طريق التعبئة السياسية والايدولوجية والدعوية للحرب .

٢/٥ : تأثيرها على العراق

أخذت القدرات السياسية والاقتصادية والعسكرية للعراق في الانخفاض عند بدء الحرب ومع استمرارها ولكن العراق استفاد من الأمور التالية :
- وجود احتياطي كبير نسبياً من العملات الصعبة مع وجود جيش جيد التسليح ولكن كلا هذين الأمرين تآكلا مع استمرار الحرب .

توافق الظروف السياسية الدولية والإقليمية التي وفرت للعراق مساندة على كل الأصعدة عوضت نسبياً ضعف البلاد الناشئ عن عوامل داخلية .

- مع استمرار انحراب استفاد العراق من عدم قبول الشعب العراقي للرؤية الإيديولوجية الإيرانية . فعلى الرغم من أن العراق هو الذي بسبب الحرب نجد أنه استطاع استقلال رفض قيام نظام حكم إسلامي وتحوله إلى سلاح دفاعي للوقوف أمام القوات الإيرانية الغازية .

- ثم بساند القوى العراقية ، الممثل في الأردن والصومالية والكويت ، العراق مادياً فقط بل وضعت هذه الدول ما لديها من إمكانيات مالية ومادية تحت تصرف بغداد وأعطت ذلك حق استخدام القواعد العسكرية الأردنية وقد استفادت الطائرات العراقية من ذلك عند تعرضها لأي مازق .

- وجود مصادر متنوعة للتسلح .
ما العوامل التي أضعفت موقف العراق فلقد كانت كما يلي : -

- الرضع الجغرافي ، فبغداد العاصمة وأغلب المدن وأهم المناطق الصناعية وحقول الأرز تقع على نهر دجلة على مقربة نسبياً من الحدود الإيرانية ومن السهل من الناحية العسكرية الاستيلاء على بعض المنشآت الحيوية القريبة من العاصمة .

- اعتماد شبه كامل على عائدات البترول وتشغل صادرات البترول البقرة وأكثراً من ٩٠٪ من إجمالي حجم الصادرات .

- وجود نظام اقتصادي وسياسي منظم مركزياً ، يعتمد على وجهة نظرية عسكرية وسياسية منمجة ، وتعتمد كفاءته على استقرار السلطة الحاكمة . ومن الممكن أن يؤدي عدم استقرار قيادة الدولة إلى هزات متواصلة ولذا نجد أن المؤسسات الاقتصادية والسياسية لا تستطيع الاستقلال عن بيروقراطية الدولة .

- تعتبر أغلب قطاعات الجبهة مناطق حساسة بسبب الجاعات الكردية والشيوعية الساخطة هناك .

لاقتصاد على قروض أجنبية والتمويل الأجنبي للحرب . وخاصة المساعدات المالية التي تقدمها دول الخليجية (والتي وصلت في عام ١٩٨٤ إلى ما يقرب من مليار دولار شهرياً نظر لسوريا/سورية)
٢٧ ف (وقد انكشفت مواطن ضعف العراق التي غطى عليها بنجاح خططه العسكرية على مدار الحرب ففي عام ١٩٨٤/٨٣ كان العراق على شفا الانهيار إلا أن الصوامل الخارجية فقط هي التي ساعدت على تهدئة الوضع الحرج وأدت العراق بالوسائل التي تمكنه من خوض حرب طويلة المدى .

ويظهر النظرة للحرب بدءاً من الغزو العراقي لإيران ثم الغزو الإيراني للضاد ثم حرب المواقع الثابتة ، تظهر بجلاء مدى تأثير بعض العوامل الإقليمية الدولية وبخاصة على الصعيد الاقتصادي - لتسيير الحرب من الناحية التنظيمية قد أثر ذلك على منع الانهيار الاقتصادي لأي من طرفي الحرب ، هذا الانهيار الذي يعني انتهاء الحرب .

في الأشهر الأولى ، التي تلت اندلاع الحرب ، أصيبت المراكز الحساسة لدى كلا البلدين ، ففي إيران تعطلت أهم معامل تكرير البترول وتعطلت عمليات نقل البترول العراقي عبر الخليج بسبب سيطرة الأسطول البحري الإيراني . وعانى البلدان من الدمار المؤثر وأن كان نصيب إيران أقل من العراق وعملت السياسة الاقتصادية في كلا البلدين على حسم هذا الأمر بالإضافة إلى الأساليب التي بق ذكرها ، وأملت إيران على شعبها - قبل الحرب سياسة تقشف مدعومة بالحجج الإيديولوجية . بينما كان العراق يبت لشعارات الدعاية لزيادة خاء والاستهلاك (ستافور عام ١٩٨٥ ، ٦٦ - ٣٨) .

وقلت التحالفات الإقليمية من خطر الانهيار الاقتصادي ، فقد استطاع العراق استيراد سلعة عبر الأردن والكويت وتلقى معونات مالية ضخمة من الدول الخليجية . واعتمدت إيران على معونات ليبيا وسوريا التي استخدمتها سوريا كوسيلة ضغط لتجميد الدول الخليجية .

وبتداء من خريف سنة ١٩٨٣ تمكن العراق على الأقل نظرياً من تجميد صادرات البترول الإيرانية . ولكن خطر التصعيد وضع حدا لهذه الإمكانيات .

وكان بحوزة كل من إيران والعراق الوسائل الكافية لمواصلة الحرب علم الرغم من مضاعفاتها الاقتصادية الضخمة وخطط العراق لزيادة صادراته النفطية فقد تركها التي بلغت في عام ١٩٨٦ مليون ونصف مليون برميل يومياً ، وكان العراق يريد ابتداء من نهاية سنة ١٩٨٦ تصدير ثلاثة ملايين برميل يومياً وتركيا والعودة إلى مستوى تصدير ما قبل الحرب .

ومن المتوقع أن تساعد هذه الخطط العراق على الخروج من ضائقته المالية في الخارج وتخفيف نفوذ الدول الخليجية .

وعلى الجانب الآخر أعدت إيران نفسها لشحن حرب استنزاف طويلة المدى . واستكملت من خطوط السكك الحديدية عبر الاتحاد السوفيتي وكذا طرق المواصلات مع تركيا . وحظيت الموانئ الجديدة في الجنوب بأهمية كبرى ، حيث استخدمت كموانئ نفطية آمنة نسبيا من الهجمات العراقية . واضطر العراق للتخلي عن موانئه المطلة على الخليج وخط أنابيب بترولته الذي يمر عبر سوريا كما اضطرت إيران للتخلي عن عمليات النقل التجارية في القطاع الشمالي بالخليج (سنافر ٢٥٠ ف) .

٢/٥ المؤثرات على دول الخليج والمنطقة

بما أن الحرب بين العراق وإيران كانت نتيجة للصراعات الإقليمية ، لذا أثرت هذه الحرب على الصراعات الإقليمية الأخرى حيث كانت دول الخليج مهددة بشكل مباشر بامتداد الحرب إليها .

وصارت الحرب أهم عامل في السياسة والتحالفات الإقليمية لطرفي الصراع ، وأصبح العراق يعتمد على مساعدة دول الخليج ولذا اضطر لاختفاء طابع محاظ ومعتدل على سياسته الإقليمية . ومن ناحية أخرى أدت الحرب إلى عزلة إيران في المنطقة وزيادة التوتر مع الدول الخليجية . وأصبحت العلاقات مع الدول العربية محدودة باستثناء التحالف مع سوريا وليبيا ، وإلى حد ما مع اليمن الجنوبي والجزائر .

وكان إنشاء مجلس التعاون الخليجي من الكويت والسعودية والبحرين والامارات العربية المتحدة وقطر وعمان في فبراير سنة ١٩٨١ بمثابة رد فعل مباشر على حرب الخليج وكانت أهدافه اقتصادية في البداية لتوحيد مواقف أعضائه داخل الأوبك . ولكنه أخذ يهتم بالمصالح العسكرية والأمنية مع تفاقم الوضع في فبراير سنة ١٩٨٣ وفي عامي ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ نوقشت الخطط الأمنية للخليج وكذا تسليح الدول الخليجية وأجراء مناورات مشتركة (انظر أيوب / خليج ١٩٨٣ ص ١٦٢ - ١٦٦ انظر باسبين ، سنة ١٩٨١ ص ٨٤) وكانت بريطانيا قد فكرت في عام ١٩٧١/٧٠ ، بعد حصول هذه الدول على استقلالها في إنشاء مجلس مشترك لملء الفراغ الذي حدث بعد خروجها (انظر هير سنة ١٩٨٤ ص ٨) ولكن حالت الخلافات بين إيران والعراق وخوف الدول الخليجية من اطباع الهيمنة لهذين البلدين دون تنفيذ هذه الفكرة إنشاء هذا المجلس في عام ١٩٨١ بدون العراق وإيران تحت ضغط الحساب المتصاعدة .

ووقف مجلس التعاون الخليجي الى جانب العراق بسبب الدواعي التي أدت الى قيامه والواردة بالفصلين ٣ ، ٤ . وشجع طول امد الحرب وعدم وجود أمل في حلها وأخطار التصعيد في الخليج ، المساعي المبذولة لانتهاء الصراع ، أو لخصره على الأقل في العمليات البرية وانفتح المجلس الخليجي بقدر معين على - إيران ، فلم يكن الخطر على الدول الخليجية يأتي فقط من جانب إيران ففضلا عن حوادث الاغتيال والتدمير التي كانت تقوم فيها الجماعات الموالية لإيران في دول الخليج حدثت استفزازات مشابهة من جانب العراق ، تسف أي تقارب بين دول الخليج وإيران ولذا هاجم العراق وإيران

ناقلات البترول التابعة لدول الخليج في حرب الناقلات (انظر هرو ص ١٢) .

وبعد تحديد مجلس التعاون الخليجي وتطبيع العلاقات بين الدول الخليجية وايران انتكاسة وضربة قاصمة للعراق . ولم تصدر في هذا الصدد بيانات ضمن ايرانية بعدم التدخل في دول الخليج . ويلاحظ في ايران وجود اتجاه لتطبيع العلاقات عن طريق الوساطة السورية ، ولكن حدد هذا الاتجاه لحد من عودة ايران لموقفها التقليدي كحامية في الخليج .

وكان أمن دول الخليج موضع نقاش في الدول الكبرى - وخاصة في أمريكا وعلى الرغم من الاختلافات في الرأي دخل مجلس التعاون الخليجي بعد انه يرفض أي تواجد مباشر للولايات المتحدة حيث ان ذلك لن يؤدي فقط إلى تارجح الصراعات بين الدول الكبرى بل سيؤدي أيضا إلى تزايد الخطر الذي تتعرض له الأنظمة الحاكمة هناك من جانب القوى الثورية بسبب زيادة الروح الثورية في أمريكا في المنطقة . ولذا سعى مجلس التعاون الخليجي إلى تأمين الخليج عن طريق النشاطات الدبلوماسية (انظر ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ١١٢ وانظر دواشه سنة ١٩٨١ ص ٥٩١) ويمكن تصنيف الآثار والنتائج العامة لحرب الخليج على الشرق الاوسط والسياسة العربية كما يلي : -

أ - صعود نجم سوريا في العالم العربي

تستهدف سوريا من وراء قبايلها بدور الوساطة بين ايران ودول الخليج عزل العراق وضمان أمن دول الخليج . وادت الحرب إلى القضاء على المنافسة بين العراق وسوريا وخاصة في لبنان حيث تسعى سوريا إلى تدعيم نفوذها هناك بمساعدة دول الخليج . وقد تقلص دور العراق في لبنان بشكل متزايد بسبب الأحداث العسكرية (انظر داوود سنة ١٩٨١ ص ٦١ - ٦٥) .

ب - عودة مصر إلى السياسة العربية

فرض العراق ، الذي استضاف القمة العربية المعادية لمصر في سنة ١٩٧٨ في بغداد ، مع دول الخليج عودة مصر إلى منظمة الدول الإسلامية والجامعة العربية . ويهدف العراق من وراء ذلك بتقوية العمود الفقري للعالم العربي وقد تم على الرغم من معارضة سوريا وليبيا - رد اعتبار مصر جزئيا وتحسنت علاقات مصر مع الجزائر وتونس حتى ان أي تعاون عسكري يمكن أن يؤدي إلى إعلان قيام حلف جديد ، ولعل من الدلائل والشواهد الأخرى على تطبيع دور مصر داخل العالم العربي دعم مصر للعراق وصفقات الأسلحة المصرية لدول الخليج وخاصة إلى عمان والتعاون المكثف مع منظمة التحرير .

ج - الدور الجديد لتركيا في العالم العربي

تحولت تركيا إلى بلد مرور (ترانزيت) هام لطرفي الحرب وصارت ثاني أهم شريك تجاري لايران بعد اليابان . وفي عام سنة ١٩٨٤ اضطر العراق إلى طلب معونة الجيش التركي لقمع المعارضة الكردية في شمال العراق وادت الحرب والمصالح الاقتصادية لتركيا والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة إلى إيجاد تقارب معين مع العالم العربي بعد عزلة دامت أعواما ولم يكن هذا التقارب فقط مع السعودية ودول أخرى معتدلة بل مع ليبيا أيضا . ومن غير المستبعد ان يكون هناك دور عسكري تركي في حالة تفاقم الحرب مرة أخرى . وكانت الحرب وما ترتب عليها هي انقسامات وتشرذم في العالم العربي احدى مقدمات الغزو الاسرائيلي للبنان في سنة ١٩٨٢ والتي بدونها الممكن هذا الغزو ليحدث ونتج عن ذلك ضعف منظمة التحرير الذي كان بدوره نتيجة لنقص التعاون بين الدول العربية .

.. عدم التهديد بالعنف أو استخدامه وعدم التدخل في الشؤون الداخلية
دول المعنية .
- احترام عدم الانحياز .

- الاعتراف بحق الدول في استغلال مصادر الطبيعة .

- عدم اعاقبة التجارة أو الطرق البحرية (انظر هوبل سنة ١٩٨٢
ص ٤٨ وانظر يلسين سنة ١٩٨١ ص ٨٤ ف) .

ونشأت جهود لاتحاد السوفيتي للسيطرة على ايران وادت الاستفزات
ضد الحزب الشيوعي الايراني والنشاطات التجسسية والتخريبية للمخابرات
السوفيتية الى احياء توريد الاسلحة للعراق (انظر يودفات سنة ١٩٨٤
ص ١٤٢ - ١٤٤) . ولعل من بين الاسباب الهامة التي دعت الى ذلك تزايد
العلاقات التجارية العراقية مع دول غربية وفي مجال قطاع السلاح -
وفي مقدمة هذه الدول فرنسا . (حتى عام ١٩٧٢ - كان العراق مجهزا بـ ٩٦ /
من عتاده الحربي بعتاد سوفيتي ، ووصلت هذه النسبة الى الثلثين بعد اربعة
اعوام من بدء الحرب) ، (يانسن سنة ١٩٨٤ ص ١٠١ ، انظر كامبل سنة
١٩٨١ ص ١٣١) وعمل الهجوم الايراني المعاكس الناجح وشعار تصدير
الثورة والبديل الاسلامي لنظام الحكم العراقي على تغيير الموقف السوفيتي
من العراق حيث قبلت السياسة الايرانية في هذا الصدد بانتقاد حاد من جانب
موسكو .

ولم يحقق الاتحاد السوفيتي نفسه الاستفادة من سياسته حتى لو كان
صحيحا تفسير بعض وسائل الاعلام الغربية لاطلاق سراح الشيوعيين
العراقيين الموالين لموسكو على انه ثمن لصفقات السلاح (صحيفة ديلي تلجراف
في ١٩٨٣/١١/١٧ ، ١٩٨٣/١١/٢٧) وكل الذي حدث هو زيادة اعتماد
العراق على دول الخليج التي كانت تعارض عودة العراق الى معاهدة
سنة ١٩٧٢ مع موسكو .

غير ان الحرب فتحت الطريق امام السوفيت للوصول الى الدول
الخليجية والتي لم يكن لهم دور فيها . ونزل ارسال اسلحه سوفيتية
ومستشارين عسكريين سوفيت الى الكويت احدى نتائج الحرب بل اخذت
دول الخليج على الرغم من التحفظ التاريخي ازاء الاتحاد السوفيتي تدعو
الى التعاون معه من اجل ضمان الامن بشكل عملي واجاد توازن بين الدول
الكبرى . وقد دفع التزايد غير المتوقع في الاتصالات السوفيتية مع الدول
الخليجية عبر الكويت (يودفات ١٩٨٣ ، ص ١٣٤ ف) ببعض المراتب
الغربيين الى الافتراض بأن الاتحاد السوفيتي يمكنه القيام بدور رجل الشرطة
الاقليمي (انظر كامبل سنة ١٩٨١ ص ١١٥) . وترى بعض التحليلات

٤/٥ الدول الكبرى والحرب العراقية - الايرانية

تعهدت الدولتان العظيمتان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية
منذ بدء الحرب باتخاذ موقف الحياد رسميا وان كان ذلك يخالف موقفهما واخذت
الدولتان العظيمتان تراقبان الموقف من كثب واستغلتا الحرب لكسب النفوذ
لدى الدولتين المتحاربتين ، بل لدى المنطقة كلها ، وعدا البيانات المتعارضة ام
يمارس البلدان ضغطا كافيا للتوصل الى حل سوى ضمانها لامن الخليج
وسعيها لمنع توسع رقعة الحرب على المستوى الاقليمي .

١ - الاتحاد السوفيتي

اندلعت الحرب في وقت غير مناسب للاستراتيجية الاقليمية السوفيتية
التي كانت تستهدف التوصل الى مصالحة بين الحليفتين سوريا والعراق
لاجباض الخطط الامريكية في الشرق الاوسط . وعلى الرغم من الاختلافات
الايديولوجية والازمة الافغانية حاول الاتحاد السوفيتي استغلال قضية الرهائن
لبسط نفوذه في ايران (يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩١ - ٩٣) .

واتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا محايدا في المواقف السوفيتية الاولى من
الحرب ، وكان يرى ان هذا الحرب لصالح الامبريالية (انظر برجنييف لوكالة
نوفوستي في ١٩٨٠/١٢/١٦) . ولكن الاتحاد السوفيتي وقف في الواقع
الى جانب ايران . وخفضت صفقات الاسلحة للعراق الا ان ايران رفضت
اعروض السوفيتية (انظر يودفات سنة ١٩٨٤ ص ٩٧ - ٩٩) (وانظر
هيرو سنة ١٩٨٤ ص ٧) . ولم تلق هذه السياسة المحايدة قبولا كبيرا
لا لدى ايران ولا لدى العراق .

وكان العراق يتوقع ان تفي موسكو بالتزاماتها المنصوص عليها في
معاهدة الصداقة السوفيتية العراقية في سنة ١٩٧٢ . وادانت ايران التي
تعرضت لهجمات الجيش العراقي المزود بأسلحة سوفيتية الموقف المحايد
ذا الوجهين .

والى جانب البيانات السوفيتية العديدة المؤكدة على الحياد والداعية
للائهاء الفوري للحرب أعلن بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي
السوفيتي في ديسمبر سنة ١٩٨٠ مبادرة سلام للشرق الاوسط احتلت حرب
الخليج فيها مكانة خاصة واقترح بريجنيف على امريكا وعلى باق الدول
الغربية والصين واليابان وكل الدول المعنية الالتزامات التالية :

- عدم اقامة قواعد عسكرية اجنبية في الخليج والجزر المجاورة وخطر
استخدام اسلحة نووية في المنطقة .

العربية لتساعد الدور السوفيتي في الشرق الاوسط ان موسكو تتمتع بنفسه
قوى في المناطق الهامة من الشرق الاوسط كاثيوبيا واليمن الجنوبي وافغانستان.
اما موقفه في منطقة القلب بالشرق الاوسط والخليج فغير مستقر كامبيل سنة
١٩٨١ (ص ١١٨ - ١٢٦) .

ولعل من بين الدروس المستفادة من الحروب العراقية الايرانية ان
الصراعات المحلية في منطقة الخليج لن تفتح الباب تلقائيا امام الاتحاد السوفيتي
او اي دولة اخرى - للقيام من تلقاء نفسها بدور رجل الشرطة في المنطقة
(انظر كامبيل سنة ١٩٨١ ص ١٢٢) .

(ب) الولايات المتحدة الامريكية

على الرغم من ان العلاقات الدبلوماسية كانت مقطوعة مع امريكا الا انه
حدث تقارب في الفترة من سنة ١٩٧٥ الى سنة ١٩٨٠ بين العراق والدول
الغربية ودول الخليج المتحالفة مع الولايات المتحدة الامريكية (انظر مجلة
وورلد ماركست ريفيو ، رقم ٨ عدد اغسطس سنة ١٩٧٦) والنظرية والدعاية
الايرانياتان تصران على ان العراق بدأ الحرب بتكليف من الولايات المتحدة
الامريكية وما لا شك فيه ان وجود نشاط موجه ضد ايران كان امرا لا يهم
امريكا (انظر هيو عام ١٩٨٤ ص ٧) لان العلاقات الايرانية الامريكية كانت
عند بداية الحرب اكثر من سيئة بسبب قضية الرهائن . وكان العراق يضع
نصب عينيه على وجه الخصوص مصالح ومصالح دول الخليج .

اما ضعف ايران مع المصالح الامريكية فهي قضية اخرى حقيقى ان
الولايات المتحدة كانت تسعى الى تغيير النظام الايراني الحاكم ولكنها كانت
تجنب في نفس الوقت عدم الاستقرار الذي كان من الممكن ان يودي الى انهيار
او تقسيم ايران (انظر هيو سنة ١٩٨٤ ص ٧ ، وانظر رايت سنة ١٩٨٣
ص ١٨٥ - ١٨٧) حيث كانت امريكا لا تضع نصب عينها فقط خلافها مع
الاتحاد السوفيتي ، فالمعاهدة السوفيتية الايرانية الموقعة في عام ١٩٢١ والتي
الغتها ايران من جانب واحد كانت وما تزال سارية المفعول بالنسبة للاتحاد
السوفيتي وهي تسمح للاتحاد السوفيتي بوضع قوات سوفيتية على الاراضي
ايرانية في حالة تواجد قوات اجنبية في ايران .

وكان الموقف الرسمي « المحايد » لأمريكا في أكتوبر سنة ١٩٨٠ كما يلي :

نعتقد بأنه من الممكن ، بل من الواجب عدم حل هذا الصراع بالقوة
المسلحة بل بالوسائل العملية . ودعونا نلجأ الى مبدأ آخر ضروري لاتخاذ
قرار سلمى لحل هذا الصراع . انه مبدأ عدم التدخل في شئون الآخرين
(ازهرى سنة ١٩٨٤ ص ٩١) .

واستغلت امريكا حرج الموقف العراقي في الحرب لتطبيع علاقاتها معه
منكبت العلاقات التجارية ثم استؤنفت العلاقات الدبلوماسية في سنة ١٩٨٥
ولعل الاهم من ذلك هو زيادة التعاون العراقي مع دول المنطقة الحليفة لأمريكا
(مصر ودول الخليج) وموقف بغداد المعتدل في الصراع العربي الاسرائيلي .
ويمكن اعتبار صفقات الاسلحة من جانب بعض حلفاء امريكا لايران (مثل
اسرائيل وباكستان وكوريا الجنوبية ... الخ) على انه تعبير عن مساع
امريكية لتأمين الكيان الايراني . وعموما كانت امريكا تتخذ في حرب الخليج -
وخاصة الحرب الهجومية الايرانية تتخذ موقفا واضحا معاديا لايران .

ففى عهد كارتر قدمت امريكا للسعودية طائرات الاواكس المتقدمة
وانس كالت تقوم بامداد العراق بالمعلومات وفي عام ١٩٨٤/٨٢ شكلت الولايات
المتحدة قمة التدخل السريع اى غزو الخليج (ستارك / ونجر سنة ١٩٨٤
ص ٤٤ - ٤٦) وعبر وزير الخارجية الامريكي عن الموقف المحايد لبلاده
بقوله : « ان الحياد على اية حال لا يعنى الا نكث بالنائج . ولدينا اصدقاء
ومصالح تتعرض للخطر نتيجة لاستمرار الاعتداءات . ونحن ملتزمون بالدفاع
عن مصالحنا الحيوية في المنطقة . وهذه المصالح ومصالح العالم تحترمها
السيادة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل الدول في منطقة الخليج . »

وتعد حرب الناقلات واستهداف الايراني باغلاق مضيق هرمز وماتلا ذلك
من تهديد امريكي بالتدخل العسكري شروطا موضوعية لمثل هذا التدخل .
ولكن كان هناك شك من الوجة العسكرية في مدى فعالية مثل هذه العمليات
خاصة ان فشل القوات الامريكية في لبنان وفشل الوحدات الامريكية التي
ارسلت الى ايران لتحرير الرهائن كانت له نتائج معنوية ضخمة وربما كان
هذا الفشل مثالا تحذيريا غير ان القيام بعمل عسكري ضد ايران اصبح امرا
غير محدود . وكان موقف مجلس التعاون الخليجي الذي ادان مثل هذه
الخطوة بوصفها تصعيدا مباشرا للحرب في المنطقة عاملا حاسما (انظر ستارك/
نجر سنة ١٩٨٤ ص ٤٧ ف) .

واستطاعت الولايات المتحدة ، شأنها شأن الاتحاد السوفيتي تدعيم
موقفها في الشرق الاوسط اثناء الحرب (رايت سنة ١٩٨٢ ص ١٨٨) ، لقد
جرت العادة على ان تضمن الصراعات الاقليمية - للدول الكبرى مناطق النفوذ ،
غير ان سياسة الدول الكبرى في هذه المنطقة المعقدة أصبحت عاملا فقد اهميته
مع مرور الوقت : فالدول الكبرى لم تعد ترغب في التورط في الصراعات
الاقليمية ولا هي تستطيع تحديد مسارها الا بقدر ضئيل .

٥/٥ النتائج بالنسبة للعلاقات مع دول أخرى

اتخذت أوروبا الغربية واليابان موقفا محايدا منذ اندلاع الحرب وأعربت عن رغبتها في نهاية سريعة للحرب . وكانت هذه الدول تكسب من هذه الطفرة التي تحققت من علاقاتها التجارية مع طرفي الحرب واتخذت بقية دول غرب أوروبا باستثناء فرنسا التي كانت لها علاقة خاصة بالعراق بفضل صفقات الأسلحة موقفا محايدا . وتكثفت علاقات إيران التجارية مع بريطانيا وإيطاليا وألمانيا الاتحادية وبعد المشاركة الجزئية في العقوبات التي فرضتها أمريكا أثناء قضية الرهائن والبقاء على السوق الإيرانية مفتوحة سعت فرنسا لتطبيع علاقاتها مع إيران (انظر صفح ٣ في رقم ١٢٠ ، سبتمبر ١٩٨٤ ، اف ٢٨) . وكلت تجارة الأسلحة غير الرسمية على جانب كبير من الأهمية حيث كانت إيران والعراق تنفق أكثر من ثلث ميزانيتها العامة على التسليح (انظر صفح ١٢٨ في رقم ١٢٨ سبتمبر سنة ١٩٨٥ ص ٣ - ٥) ودخلت عدة دول أوربية بشكل مكثف في هذا المجال حتى ولو تعارض ذلك مع القانون فصدرت ألمانيا الاتحادية أسلحة إلى العراق وأبرمت في نفس الوقت صفقات غير قانونية مع إيران واستغلت تورطها المتزايد لاستكمال التعاون الألماني المصري في مجال التسليح (انظر أوراق ١٢٨ في ٣ في ١٢٠ ص ٨١) وقامت النمسا بتصدير مدفعية ثقيلة من نوع الهاوتزر عبر الأردن بشكل غير رسمي (الكتاب السنوي سبتمبر سنة ١٩٨٤) .

وتزايد اعتماد كلا البلدين المتحاربين على غربي أوروبا واليابان ، فقد قاموا بدور هام في إعادة بناء الأنظمة الاقتصادية التي حاق بها التدمير . وهكذا أتاحت الحرب فرصة لقاعدة من الارتباطات الجديدة في زمن السلم واستفادت دول أخرى مثل البرازيل . وكوريا الشمالية والصين بشكل مباشر أو غير مباشر من تجارة السلاح (انظر الجداول في ملحق بأخر الكتاب) ولذلك كان الاعتماد الكلي لطرفي الحرب على أمريكا والاتحاد السوفيتي نسبيا ومحددا كما تورطت إسرائيل في تجارة الأسلحة مع إيران (فرانكفورتر الجمانية في ٨٧/٣/١٧) وأخفض الموقف الإسرائيلي الشرعية على نفسه بموافقة الولايات المتحدة على ذلك (هيرو سنة ١٨٨٤ ص ٧) وأن كانت المصالح الإقليمية هي التي كان لها الدور الحاسم في هذا الموضوع (فايتسمان ومقابلته مع مجلة نيوزويك في ١٥/١٢/١٩٨٠) . وهكذا شلت الحرب قوى وطاقات بلدين هامين من بلاد العالم الإسلامي والعربي لم يعودا - رغم كل الشعارات - قادرين على خوض حرب ضد إسرائيل . ولذا كانت مصلحة إسرائيل في استمرار حرب الخليج وليس في انهيار أي من البلدين ولا يمكن اعتبار السياسة الإسرائيلية بمثابة بيان تعاطف مع أحد طرفي الحرب اللذين يعتبران أساسا من أعداء إسرائيل ، بل يمكن اعتبارها جزءا من المفهوم الأمني الإسرائيلي الشامل طويل المدى . وفي إطار هذه الاستراتيجية ويمكن تفسير صفقات الأسلحة وكذلك قصف المركز النووي العراقي .

٦ - الحرب والتركيب (التفسيرات) : - قل هي

قضية تفكك أو إعادة بناء ؟

بالنسبة للبعد العراقي والديني للحرب

هناك ارتباط وثيق بين الأبعاد الثنائية والإقليمية والدولية للصراع وبين التركيب الفسيفسائي للمنطقة . وكلتا الدولتين تضمان جماعات عرقية دينية ومذهبية لم تندمج تماما في الدولة الحديثة . وتبدو المتناقضات الناتجة عن هذه التركيبة المعقدة أكثر وضوحا في الصراعات الثنائية وتدويلها . وأصبحت بذلك أكثر تأثيرا . وتسربت المتناقضات الداخلية في كل من العراق وإيران إلى قيادة الحرب وتخطيطها حتى وإن لم تتفق التقديرات الرسمية في أغلب الأحوال مع العمليات . وسنحاول فيما يلي مناقشة هذه الإشكالية بشكل عام ، وفي النهاية سنقدم ظواهر مطابقة في كل من العراق وإيران .

٦ - ١ الإشكالية

يبدو أن الدول التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط قد حظيت في وعينا بأهمية كبرى أكبر مما تستحق في الواقع . فالدول الحديثة التي نشأت على غرار النموذج الغربي في الشرق لا تتفق مع التطور العرقي والطابع الديني أو القومي ، فالعراق وإيران دول متعددة القوميات والمذاهب ولا يعتبر تركيبهما السياسي متعددا أو ديمقراطيا وتضعف المتناقضات الاستمرار الداخلي للبلاد ، كما أنها تمثل مشكلة إضافية في حالة أي صراع إقليمي مع الدول المجاورة (مثل مساندة الأكراد في دولة أخرى) كما يعتبر موقف الإسلام ظاهرة أساسية . لا تعترف ، بالحدود الحالية ويتناقض مع التركيب الحالي للدول التي لم تستقر بعد .

لقد قام نظام الدولة الإسلامية ، الذي كانت تمثله الإمبراطورية العثمانية بأوسع معاني الكلمة ، على فكرة الأمة الإسلامية . ونظمت العلاقات المتناقضة للأقليات الدينية والعرقية داخل هذه الأمة من خلال النظام المالي وقدر كبير من الحكم الذاتي نسبيا للمناطق التابعة لها . ولكن التوجهات المركزية للإمبراطورية العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والرغبة في إقامة دولة قومية على النموذج العربي أدت إلى تفاقم مشكلتي الأقليات والقومية في المرحلة الأخيرة من الإمبراطورية العثمانية (قارن شيفلر ص ٤٩ ف) .

ولم تؤسس الدول التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى نظامها على فكرة الأمة الإسلامية ، ولذا لم يكن هناك ذلك النظام القائم على أساس الوحدة الدينية أو العرقية أو المذهبية . وانقسمت الأمة العربية إلى أكثر من عشرين دولة حديثة

وانشطرت الشعب الكردي الى خمس دول . وما يزال يقيم في انعرق وايران ، حيث يعيش العرب جنباً الى جنب مع الاكراد وعدد من الاقليات الاخرى . ويعيش البلوش في ايران وافغانستان وايضا في باكستان كما يعيش الازربيجانيون والتركمانيون في ايران والاتحاد السوفيتي . ويستقر الارمن واقليات مسيحية اخرى في هاتين الدولتين .

وخلقت الدولة الحديثة انتماءات جديدة صناعية ، فالشعب الايراني او الامة الايرانية مصطلحات لا يصل عمرها الى ستين عاما . والواقع ان مشاعر الانتماء قد تمت لدى الشعوب بعد مرور ستين عاما على وجود هذه الدول ولكن لم تمنح السمات العرقية والدينية التقليدية .

ولم يكن النفوذ الثقافي القوي لاوريا يعني اغترابا وتزويرا لوعي الشعوب الشرقية فقط بل أدت المفاهيم السياسية المرتبطة به (كالشعب والامة) الى نشر البلبلة وعدم الوضوح ، فالدستور العراقي ينص مثلا على ان الشعب العراقي يتكون من قوميتين (مادة ٣) وفي فقرة اخرى (مادة ٢) توجد الجملة التالية : - العراق جزء من الامة العربية . وهذا التعارض والتناقض ليس فقط مشكلة دلالة بل يثير البلبلة في الوعي السياسي (انظر فانلى سنة ١٩٨٤ ص ٢٨١ ، انظر ابراهيم عام ١٩٨٢ ص ٢٨٢ ف) .

ويتعارض المفهوم السياسي للقومية الكردية ، الرامية الى توحيد الشعب الكردي في دولة كردية قومية ، مع الانتماء للشعب العراقي . ويمكن تقييم قضية التوحيد من منظور اخر على انها انفصال عن وخروج على الوطن العراقي والدولة العراقية ايضا .

وصف الملك فيصل الاول اول ملك هاشمي حكم العراق الحديث هذه الاشكالية في مذكرة كتبها سنة ١٩٣٢ بقوله : -

« لا يوجد في العراق - وهذا ما أقوله وقلبي مفعم بالاسى - عراقيين بل أعداد لا يمكن تخيلها من البشر مجردة من أية فكرة وطنية ومتمشربة بالتقاليد الدينية والافكار السخيفة ولا يربط بينها أي رابطة مشتركة وتصفى الى الشر وتميل الى الفوضى ومستعدة دائما للثورة على أي حكومة ومهما كانت ونريد ان ننتقى شعبا من هذه الاعداد يمكننا تدريبه وتعليمه وتهذيبه وفي حدود الظروف الراهنة يمكننا تخيل مدى ضخامة الجهود المطلوبة لانجاز ذلك » .

وفي الخمسين عاما التي تلت هذه الكلمات جرت محاولة لتحويل هذه التكتلات الى واقع : - توطين اجباري لقبائل البدو الرحل واضطهاد الشعب الكردي واجباره على الاندماج ومع ذلك تميزت هذه الحقبة بالاصلاحيات وأكدت الصراعات ان هذه القضية لم تنته بعد . ولا يجب ان تسير في نفس هذا

الاتجاه وثمة مشكلة اخرى للدول الحديثة تكمن في مواجهتها مع اتجاهات اقلية وغير اقلية قوية مثلما ظهر في القومية العربية والاسلام والقومية العربية التي تسعى الى توحيد كل العرب في دولة قومية واحدة لا تتفق مع الحدود القائمة حاليا بين الدول المختلفة كما تشكل الحركة الوطنية الكردية - وهدفها البعيد اقامة دولة كردستان الموحدة - تهديدا للكيانات غير المتجانسة في اربع دول .

وترفض الصحوة الاسلامية ، التي لا يجب النظر اليها على انها عودة الى الدين فقط بل ايضا ظاهرة سياسية قوية ، بسبب تناقضها الثقافي مع الغرب ترفض هذه الصحوة الحدود القائمة حاليا وتسمى للعودة الى اقامة امة اسلامية عالمية كبديل عن الدول الموجودة حاليا وعلى الرغم من تعارض الاتجاهات الاسلامية مع القوميات الكردية والعربية نجد ان كليهما يسير في نفس الاتجاه اي نحو عملية التفتت .

وثمة ظاهرة اشكالية تخص تركيبة الدول الحديثة وتمثل في الاتجاهات المركزية وما يرتبط بذلك من القضاء على كافة اشكال والاستقلال او الادارة الذاتية ويمثل هذا التناقض بين الاستقلال الذاتي والمركزية واحدا من الجوانب الجوهرية للتناقض بين المركز والهامش فالقبائل والاقليات الوطنية والدينية والعشائرية والوحدات الاخرى تدافع عن استقلالها الذاتي نسبيا ازاء الدولة الحديثة التي غالبا ما تكون ظاهرة غريبة تجثم على صدر المجتمع .

ومن خلال الصراعات على السلطة تدافع هذه الجماعات عن استقلالها الذاتي بحماس ضد محاولات الاختراق من جانب جهاز الدولة الذي يحاول استخدامهم كحكام او متحالفين في صراعاتهم . وعلى الجانب الآخر تنهج الدولة استراتيجيات التفرقة الاجتماعية مثل التقسيم الواعي لجماعات الشعب الى روابط محلية ودينية او مهنية مستقلة اداريا وتعتبر وحدة مجمعة لعضائها المتفرقين وتقوم بتبسيط الادارة وتبسيط سياسة « فرق تسد » . كما تستخدم مناطق سكنية عرقية ودينية منفصلة لحماية المصالح الذاتية لسكانها . وتؤدي في نفس الوقت لتقليص الاتصالات اليومية بين مختلف جماعات الشعب الى ادنى حد وبحيث تجنب جهاز الادارة كثيرا من الصراعات التي يصعب السيطرة عليها (جرينسهيلد سنة ١٩٨٠) .

وكانت نتيجة ممارسة سياسة التفرقة « النحتية » والفوقية تركيبا فيسفايا اجتماعيا مكونا من مجموعات محلية ودينية وعرقية (كون سنة ١٩٥١) وصفه البرتخوراضو (١٩٤٧ ص ٢٢) كتعايش مشكوك فيه بين عالم اجتماعية ثقافية مكتفية ذاتيا متلامسة ولكنها غير متداخلة (شيلفر سنة ١٩٨٥ ص ٤٩) .

٢ / ٦ العلاقة بين المركز والهامش في إيران

تحت مفهوم مركز لا نفهم فقط العاصمة كمنطقة التقاء للدينامية السياسية والثقافية والاقتصادية بل المنطقة التي يوجد بها أكبر مركز للشعبة المتحدثين بالفارسية وتتميز المناطق التابعة لها بما يلي :

— تعيش كل الاقليات الوطنية تقريبا في هذه المناطق .

— هي مناطق يوجد بها اقلية سنية .

— هي مناطق حدود حساسة استراتيجيا .

— يضم سكان هذه المناطق في اغلب الاحوال جزءا من الاقليات الموزعة على عدة دول (الاتحاد السوفيتي والعراق وأفغانستان وباكستان) وتعتبر شعوب هذه المنطقة خط الحدود الذي قسم الاقليات نتاجا لظروف سياسية وموازن القوى تعتبر هذه الشعوب ظاهرة مصطنعة .

وتعرضت الامبراطورية الفارسية لضغط خارجي مكثف في القرن السدي سبق اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وتميز بالتنافس الروسي البريطاني . وكان نظام الحكم ضعيفا ومركزيا . وضمن ذلك للمناطق الهامشية التمتع باستقلال ذاتي نسبي ومع ارتقاء أسرة بهلوي للعرش في إيران في العشرينات من هذا القرن قامت المركزية التي ضمت فيها بعد مناطق الحكم في خوزستان وكردستان التي كانت مستقلة نسبيا . وراح ضحية لعملية التوطين الإمبراطورية لقبائل البدو الرحل في كردستان الإيرانية وحدها — راح آلاف الضحايا في فترة ما بين الحربين العالميتين (انظر لامبتون سنة ١٩٥٣ ص ٣٢٦) انظر قاسماو سنة ١٩٧٠ ص ١٥١ ف) .

وأدت سياسة التوطين فضلا عن ذلك الى حدوث تغييرات على المستوى الاقتصادي والاجتماعي فتحطمت الحياة الجماعية للنظام القبلي القديم وحل محلها نظام الدولة الحديثة . وعلى مستوى آخر قضى على تعدد الشخصية الشعبية في إيران وحاولت الدولة فرض الانتماء لقومية إيرانية جديدة مصطنعة .

وثمة بعد آخر لهذا التكوين الفيسفائي وهو العلاقة بين الداخل والخارج وما برز في التحليل انوارد بعاليه حول المناطق الهامشية نجد أن هذه المناطق تشكل أرضية صالحة للضغط السياسي وللغزو العسكري من الخارج أيضا . فقد مارست الدول العظمى — وفي مقدمتها روسيا — الاتحاد السوفيتي فيما بعد — نفوذا وضغطا سياسيا على المركز عبر هذه المناطق

الهامشية وتعتبر العلاقة بين المناطق الهامشية وإي دول خارجية تعتبر في نظر السلطة المركزية مؤامرة أو خيانة أو تدخل في الشؤون الداخلية من دول اجنبية كما تعد هذه العلاقة أيضا ذات طبيعة معقدة وتوجد بعض الاقليات والمناطق الهامشية المضطهدة التي تندمج في الدولة الحديثة بشكل كامل والتي لا تتمتع بعلاقة ديمقراطية مع السلطة المركزية ولا تستطيع كأقلية المطالبة بذلك كما أن مصالحها تكمن في التعاون التكنيكي مع دول مجاورة . وتعتبر هذه العلاقة علامة مميزة للصراعات السياسية الهامة في التاريخ الحديث لإيران : الثورات في خوزستان ، وجيلان وأذربيجان ١٩٢٠ / ١٩٢١ والثورات في أذربيجان وكردستان ١٩٤٥ / ١٩٤٦ والتي انشأت جمهوريات محلية بمساعدة الاتحاد السوفيتي . وعند دراسة العلاقة بين المركز والمناطق الهامشية في مثال إيران يجب مراعاة الاسس التالية :

(أ) لا تتمتع مفاهيم مثل الاغلبية والاقلية عند النظر الى الجماعات العراقية في إيران الا بأهمية ضئيلة حيث أن الفرس كأكبر جماعة بين الشعب الإيراني لا يشكلون الاغلبية المطلقة . ويمكن أن يؤدي ذلك الى مواجهة بين الفرس واغلبية الجماعات العرقية وأدت الصراعات التي حدثت بعد الثورة الإسلامية الناجحة في بداية عهد الجمهورية الإسلامية بين الحكومة وبين العرب والاكرد والتركمانيين المناضلين من أجل الاستقلال وتوسيع نطاق حق تقرير المصير الثقافي — أدت هذه الصراعات الى مثل هذا الوضع (انظر كدي سنة ١٩٨٣ ص ٨٧ — ٨٩) .

تطبيقا لنظرية الحكام الجدد ولما كانت الجمهورية الجديدة تركز على الاسلام كانت مساعي الاستقلال الذاتي تعتبر في نظرهم اتجاهات غربية مدعومة من الخارج ، ولكن يخفى خلف هذه النظرية الإسلامية عناصر التعصب العنصري الفارسي وباستثناء الثلاثة الأشهر الاولى من الجمهورية الإسلامية ، التي تولى فيها كردى يدعى « سنجابی » منصب وزير الخارجية ، فلم تتضمن الحكومات التالية أى عضو من أصل كردى أو عربى أو بلوشى أو تركمانى .

(ب) بالنسبة للعلاقة بين المناطق الهامشية والمركز لم تلعب فقط مشكلة الاقلية وحدها دورا بارزا ، بل أيضا قضية الانتماء المذهبي . فالأذربيجانيون يشكلون أكبر قومية عرقية بعد الفرس ويتمتعون بوضع مميز كشعبة في مواجهة الجماعات العرقية الأخرى . ويشغلون مناصب هامة في الاقتصاد الإيراني والجيش وبعض المؤسسات المدنية . وكما كان الانتماء العرقي يشكل عاملا للتناقض بين المركز والمناطق الهامشية وجد الانتماء العرقي نفسه في مواجهة مع قوة جاذبية المركز . فقد اهتمت كل المطبوعات تقريبا ، وخاصة تلك التي صدرت في الغرب — بالبعد العرقي فقط في العلاقة بين

المركز والمناطق الهامشية في الحرب العراقية الايرانية واغفلت أهمية الانتماء المذهبي (١) وبعد الثورة الاسلامية لم يسع الأذربيجانيون للحصول على الاستقلال الذاتي ولم يقوموا بأي عمل مناوئ للسلطة المركزية . ويمكن أن يعزى هذا الموقف من جانب أكبر اقلية عرقية — كانت تمثل في الماضي خطرا داهما على الحكام الإيرانيين لأن جزءا من هذا الشعب يعيش في الاتحاد السوفيتي — الى العامل المذهبي .

ويمكن أن يفسر التداخل بين الانتماء لعرق ولذهب ، الى حد ما ، موقف الاقلية العربية في خوزستان والانتماء الثقافي والعرقى للعرب المقيمين في خوزستان ادى الى تزايد تضخيم ابتعادهم عن المركز ، من ناحية وادى من ناحية اخرى الى حقيقة مفادها أنهم بوصفهم شيعة قلبا وقالبا لابد أن يحتفظوا بقدر من الولاء للسلطة المركزية . ولذلك توقفت مقاومة العرب في خوزستان عند حدود معينة . وتجلت اقوى التناقضات بين المركز والمناطق الهامشية في تلك المناطق التي تلعب فيها عوامل الانتماء العرقى والمذهبي دورا .

(ج) يتخذ التطور الاقتصادي الاجتماعي وجها آخر في العلاقة بين المركز والمناطق الهامشية منذ ادى التطور الاقتصادي والاجتماعي الى انفجار سكاني في المدن بسبب الهجرة الواسعة من الريف والى تحول المدن الى مركز للحياة الاقتصادية والثقافية . بينما انخفضت أهمية القطاع الزراعي وسكان الريف بسرعة وكان ٤٪ من اجمالي المشروعات الصناعية يوجد في كردستان في عام ١٩٥٨ بينما يشكل الاكراد ١٧٪ من جملة سكان ايران وكان ١٥٪ من الإيرانيين حضريين (روث سنة ١٩٧٨ ص ١٠٦ — ١١٠) انظر قاسملو سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) . وفي عام ١٩٥٨ انتجت كردستان الايرانية ٢٠٪ من اجمالي الانتاج الزراعي الإيراني (قاسملو سنة ١٩٧٠ ص ١٢٥) .

ولكن التطوير الاجباري والاصلاح الزراعي الفاشل حولا كردستان الى مستورد للمنتجات الزراعية والى مرتبط ببيروقراطية الدولة التي تعتمد على ايرادات البترول .

وفي خلال عشرين سنة جرت عمليه شارك في بدايتها قبل خمسة وعشرين عاما غالبية سكان الريف وشارك في نهايتها غالبية سكان المدن فقد اتضح من مراقبة هذا التحول الاقتصادي والاجتماعي الهام تزايد قوة جاذبية المركز بمعنى اعتماد المناطق الهامشية على المركز ورافق ذلك — انحسار مقاومه المناطق الهامشية وامكانياتها للحصول على الاستقلال .

(١) من أهم الدراسات في اطار النواحي الدينية والمذهبية هناك كتاب اقبال الصادر في سنة ١٩٨٥ وكتاب شيفلر الصادر في سنة ١٩٨٥ .

(د) بمراعاة العوامل الواردة بعاليه يمكننا الوصول الى محصلة مفادها عدم حدوث عملية تفكك وغير متوقع حدوثها في المستقبل القريب على الرغم من استمرار اهمال المناطق الهامشية على الرغم من وجود تناقضات بين المركز والمناطق الهامشية بالرغم من مطالب الاستقلال الذاتي . ولم تؤد الحرب العراقية الايرانية — وحتى في فترة الغزو العراقي الى حدوث مثل هذه العملية .

ولكن يمكن أن يؤدي ضغط المناطق الهامشية الى حدوث تفكك عن طريق دعم خارجي مكثف وبخاصة من جانب الاتحاد السوفيتي . وتعطى استراتيجيه الجمهوريه الاسلاميه أولويه كبرى لاقامه مركز قوى وهي على وعى كامل بمدى سهوله اختراق المناطق الهامشية التي يحدها الاتحاد السوفيتي في الشمال ومناطق النفوذ الامريكي في الجنوب ولا يوجد في هذا المخطط سوى الاختيار بين انفجار الثورة الاسلاميه أو فقدان السلطة في المركز الذي يتعرض لضغط خارجي قوى . وقد صاغت جريدة الحزب الجمهوري الاسلامي الحاكم هذه الاشكالية على النحو التالي :

— تحتاج ايدولوجية الثورة الاسلاميه الى التوسع في دول اخرى .

— ان سكان العالم المضطهدين بحاجة الى ثورة اسلامية كمنفعة تجريبية كما ان ايران بحاجة الى تصدير ثورتها الاسلاميه والا اجبرتها ضغوط اجنبية على التحول للداخل والارتداء تدريجيا الى قومية . (ايوبى / قدى سنة ١٩٨٣ ص ١٤٨) .

— ان التكهات حول تأثير الجمهوريه الاسلاميه على الجمهوريات الاسلاميه بالاتحاد السوفيتي التي كانت فيما مضى أجزاء تاريخية من التراث الفارسي لدعم السوفيت لمطالب الاستقلال الذاتي للاقليات القومية في ايران (اقامة جمهوريه المستشارين بجيلان في عام ١٩٢٠ انشاء الجمهوريه الكرديه والجمهوريه الاذربيجانية بمساندة الجيش الاحمر في عام ١٩٤٥ وكذلك لتأييد الاخير لمطلب الاستقلال الذاتي للاكراد في عام ١٩٨٠/٧٩ ان كل ذلك هو سمة العلاقات الايرانية السوفيتية التي تتميز بمحاولات فرض النفوذ وبأهمية كل دولة للآخرى . (انظر قدى سنة ١٩٨٣ ص ٩٩ ، ١٠٦ ف) .

المركزية في العراق الى هذه القرينة التاريخية على الرغم من أن وضع الاكراد في العراق افضل نسبيا عن مثيله في الدول الاخرى .

ويتميز التاريخ الحديث للعراق بمقاومة الاكراد ومساعدتهم لحق تقدير المصير الثقافي والاستقلال الذاتي وكذلك المطالبة بالمشاركة في السلطة السياسية وبعد الثورة العراقية في سنة ١٩٥٨ ظهرت حركة المقاومة الكردية في الفترة من ١٩٧١ حتى ١٩٧٥ وتم حصول الاكراد على حقوق ثقافية معينة وكذلك مشاركتهم في السياسة . وسجلت المفاوضات التي جرت بين قادة حركات المقاومة الكردية والحكومة في اعوام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ ، ١٩٧٠ وكذلك البيانات الحكومية الرسمية الاضرار التي لحقت بالمناطق الكردية على المستويين الثقافي والسياسي وبالنسبة لبرنامج الانماء الاقتصادي .

وتحولت الحركة الكردية الوطنية في خلال ربع القرن الماضي الى عامل سياسي هام يستطيع الضغط على الحكومة المركزية وتؤكد من أحداث تغييرات في مركز السلطة وتغيير السلطة واعادة تشكيل الحكومة اكثر من مرة وليس الاكراد في وضع يؤهلهم للاستيلاء على السلطة في الدولة ونظرا لدورهم كاتلالية عرقية - تستوطن الطرف الشمالي من الدولة . وعموما يعد الاكراد عاملا يمكن ان يضبط على المركز ويهز استقرار البلاد . وتعتبر هذه الاشكالية مؤثرة على العلاقات الاقليمية والدولية للحركة الوطنية الكردية . ولم يحصل الاكراد على مساعدة الدول المجاورة والدول الكبرى فقط بسبب مطالبهم السياسية الواقعية بل بسبب الرغبة في اهتزاز العراق ونظام حكمه بهدف الاطاحة او على الأقل تغيير اتجاه الحكومة المركزية . وابلغ مثال على ذلك هو دعم ايران والسياسة الامريكية والسوفيتية للاكراد .

هذا ، ويمكن للحركة الوطنية الكردية ، وهي التيار الرئيسي بين الشعب الكردي وقد سيطرت عدة مرات خلال السنوات الخمس والعشرين الأخيرة على مناطق يقطنها حوالي مليون شخص وكان لديها جيش يزيد عدد افراده على مائة الف - يمكن لهذه الحركة الوطنية الكردية أن تنفصل عن الصراع بين المركز والمناطق الهامشية وسط ظروف اقليمية ودولية محددة لتلعب دورا اقليميا هاما . وساعد ظهور قوى محلية في المنطقة والصراعات العرقية والمذهبية بها لها من بعد دولي ، على تكون عامل قوة ساسية جديدة مثل الدروز في لبنان ومن الممكن تكرار مثل هذه العمليات في حالة تصعيد الصراع مع ايران .

وتنتمي الحركة الوطنية الكردية المسلحة في اغلب الاحوال وتسيطر وبشكل خاص في العراق وايران على مناطق تطالب باحققتها فيها باعتبارها مناطق محررة - تنتهي الحركة الوطنية الكردية الى اهم الظواهر الجديدة في هذا البناء - الفسيفسائي - لتركيبية القوى السياسية بالمنطقة لأنها تشكل مركز قوة ، وتحكم مناطق صغيرة وتلعب عن طريقها دورا في العلاقات والصراعات الاقليمية . وتدخل

٢/٦ الشيعة والاكرد في العراق الحديث

كان يعيش في دولة العراق الحديثة التي تأسست في أوائل العشرينات عديد من الجماعات العرقية والدينية والمذهبية وكان الاكراد يشكلون ١٥ / من اجمالي عدد السكان والمسيحيون ٣ / والأتراك ٢ / والفرس وأقليات أخرى ٣ / وإذا كان السكان العرب يشكلون ٧٩ / من الشعب فإن ثقل هذه الاغلبية يصبح نسبيا في اطار الانتماء المذهبي ، فالسنيون العرب يشكلون ٢٨ / فقط من اجمالي عدد السكان ، وتصل نسبة الشيعة الى ٤٥ / (مصلحة الاحصاء العراقية سنة ١٩٨٢) . وهناك احصائيات غير رسمية تصحح هذه البيانات الرسمية وتشير اغلب المصادر الى أن نسبة الاكراد الى اجمالي سكان العراق تبلغ ٢٦ / انظر النشرات عدد ١٢١ نوفمبر سنة ١٩٨٤ ص ٢٣)

وقد اكسبت هذا التضافر المعقد للجماعات العرقية والدينية والمذهبية اهميته من خلال الهيكل المركزي غير الديمقراطي الصارم للدولة العراقية التي يتولى العرب السنيون الحكم فيها . وسنحاول فيما يلي تحليل علاقة جماعتي الشيعة والاكرد ، بمركز السلطة السياسية وذلك نظرا لاهمتهما بالنسبة للصراع بين ايران والعراق .

(١) الاكراد

تكونت في إقليم كردستان العراقي حاليا مملكة كردية مستقلة ذاتيا بعد الحرب العالمية الاولى في عهد الانتداب البريطاني . ولم تتحقق مساعي الساسة الاكراد لاقامة الدولة الكردية المستقلة التي تم النص عليها في معاهدة سيفر سنة ١٩٢٠ . ثم اطاح الجيش البريطاني في سنة ١٩٢٤ بالمملكة الكردية الصغيرة التي كان يحكمها الشيخ محمود . وعهد الى عصبة الامم تقرير مستقبل جنوبي كردستان (كردستان العراقية حاليا) (١) .

وعلى الرغم من مقاطعة غالبية الاكراد في هذه المنطقة للاستفتاء الذي نظمته عصبة الامم او اتخاذهم موقف سلبي من ضم هذه المنطقة للعراق في سنة ١٩٢٥ (قاسملو سنة ١٩٧٠ ص ٨٠ - ٨٩) . ووعدت العراق وبريطانيا - التي كانت الدولة المنتدبة حتى سنة ١٩٣٢ - بمنح الاكراد حقوقا ثقافية وحكما ذاتيا اداريا . وتعود جذور الخلافات الأخيرة بين الاكراد والسلطة

(٢) انظر عصبة الامم ، مسألة المواجهة بين تركيا والعراق ، جنيف

١٩٢٥ ص ٤١ - ٤٦

هذه الحركة في تحالفات مع قوى اقليلية ودولية وتحصل بذلك على ما يقسبه كيان الدولة وكانت الانتفاضة الكردية بزعامة البرزاني في عام ١٩٧٤ ، وبالنسبة للمناطق المحررة وعدد القوات المسلحة - اكبر من انتفاضة جمهورية مهابد التي كان يساندها الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٤٦ . ولكن حالت ظروف دولية غير مناسبة دون انشاء كيان دولتهم .

ويلعب اكراد العراق وايران في حرب الخليج دورا ليس بالقليل ولم تنجح كل من العراق وايران الا بشكل ضئيل في جذب الاقلية الكردية في البلد الآخر الى استراتيجيتها ، ويعود السبب الرئيسي في ذلك الى ان الاتجاه الريفي يميل الى الشخصية القومية وفي ايران لم تؤد الافكار الاسلامية للجمهورية الجديدة عن القومية الى حل مشكلة الاقليات . كما ان الثورة الاسلامية لا تشكل بدلا سياسيا للاكراد المقيمين في العراق . ولذا لم يحدث او حدث بشكل فردي - تعاون بين المنظمات الكردية المعادية والانظمة الحاكمة في العراق وايران .

وشكلت الحركة الوطنية الكردية مركز قوة مستقلا عن نفوذ الانظمة ترايدت اهميته مع تنامي عدم الاستقرار . ولن يحدث تغير كما في الوضع بتصعيد الصراع الاقليمي او بمعنى آخر بتدخل الدول العظمى . ويرى خبير استراتيجي حدوث مثل هذا التطور في ضوء سياسة دولة كبرى كالاتحاد السوفيتي في الشرق الأدنى والاطوسط ، ويمكن القول بان ما قاله يرتكز على رؤية مؤيدة للغرب بشكل واضح .

كانت السياسة الامريكية العلة في منطقة الشرق الاوسط تسمى الى الحفاظ على استقرار هذه المنطقة وامن حدودها القومية وابعاد النفوذ السوفيتي . اما عن سياسة الجانب السوفيتي الاخر فهي تهدف الى عدم الاستقرار ، والبلقنة واعادة ترتيب الحدود القوية وطرد النفوذ الامريكي وحرمان الغرب من بتسول الشرق الاوسط . وحل السوفيت بنجاح الى حد ما كسب السيطرة على مختلف الجماعات الكردية التي تضم الكثير من الشيوعيين الذين تم تدريب الكثير منهم او تلقوا تعليمهم في الاتحاد السوفيتي . وقد يصبح الاكراد اداة مناسبة في التأثير على محريات الامور .

وعلى أية حال اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفا محايدا في حرب الخليج ونوقف ظاهريا عن توريد الاسلحة المتعاقدة عليها وقطع الخيار والذخيرة للعراق . ومع ذلك لا تتوقف ابدا المصانع السياسية للسوفيت واهدافها طويلة المدى ولذلك ربما تظهر قريبا صواريخ سام - ٧ السوفيتية او المدافع المضادة للطائرات طراز زد اس يو ٢٣ - ٤ في ايدي الاكراد . وتعتمد الكثير من الامور على احتمال تدخل امريكا بشكل او بآخر في حرب الخليج او عدم تدخلها . ويبدو ان القوتين العظميين تنتظران كيفية وقوع جولة ثانية من حرب الخليج قبل ان تلتمز كاتا القوتين بالتدخل . واذا تدخلت احدي القوتين او كلتاها فان عامل الاكراد سيكون له اهمية كبيرة (او بلانس الصادر في سنة ١٩٨١ ص ٢٠)

(ب) الشيعة

يمثل الشيعة نصف سكان العراق تقريبا حيث تصل نسبتهم الى ٤٥٪ . وبعد ان لعبوا دورا حاسما في حرب الاستقلال ضد البريطانيين وانحسر نفوذهم على السلطة السياسية ووضعهم السياسي (النفيسي سنة ١٩٧٣ ص ١٣٠ الى ١٣٩ وص ١٦١ حتى ١٦٦) اما اليوم فلا يتفق دورهم في الدولة ووضعهم على قمة الدولة وفي المؤسسات المدنية والعسكرية ، مع نسبتهم الى اجمالي عدد السكان .

يضاف الى ذلك ظاهرة اجتماعية اخرى فالمناطق التي تقطنها اغلبيّة شيعية في الجنوب والجنوب الغربي للعراق اكثر فقرا بشكل نسبي واهملها الحكومة في اطار برنامج التعمير والتنمية بالمقارنة بمناطق اخرى .

قد حدث في التاريخ القريب للعراق مشاركة رمزية للاكراد والمسلمين الشيعة - على الاقل - في الحكم (كما حدث في سنة ١٩٥٨ عند تشكيل مجلس الرئاسة الثلاثي الذي كان يضم عضوا سنيا وشيعيا وكرديا) الا انه تم التخلي عن هذه المشاركة فيها بعد . ولعل ابلغ مثال على ذلك هو الشيعة في حزب البعث .

فقد تراجع نصيب الشيعة في قيادة الحزب بعد استيلاء الحزب على السلطة وهبط الى الصفر . ولدى تولي الحزب السلطة لأول مرة في عام ١٩٦٣ انخفض عدد الشيعة في مناصب الحزب العليا . وحصل الشيعة على ٢٧٪ من المناصب الحزبية في المجلس الوطني للقيادة الثورية - وهو اعلى سلطة سياسية - في الفترة من فبراير حتى نوفمبر سنة ١٩٦٣ بينما احتفظ المسلمون السنيون - ٦٧٪ ، مع ملاحظة ان نسبتهم الى سكان العراق تصل الى ٢٨٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٠٨) .

وشغل العرب السنيون ٩٣٪ من المناصب القيادية في المجلس الثوري خلال الفترة من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٧٧ ، ولم يكن هناك أي فرد من طائفة الشيعة العرب . وفي كل الفترات كان نصيب الاكراد العرب (السنيين) من هذه المناصب بنسبة ما بين ٥٪ الى ٦٪ (باتاتو سنة ١٩٧٨ ص ١٠٩٠) .

وهناك سبب آخر لاهمال الشيعة ويمثل في الموقف الرافض لعلماء الدين الشيعة لظاهرة الدولة الحديثة وعمليات التحديث والتعليم والنظام المدرسي ويعود هذا الموقف الرافض الى الامبراطورية العثمانية ولكن ذلك ليس سببا كافيا لاهمال الشيعة في الحياة العامة والسياسية ولا يمكن ان يكون مبررا لحق الاحتكار من جانب السنيين (النفيسي سنة ١٩٧٣ ص ٤٨ - ٥٠) .

وبصرف النظر عن المستوى السياسي كانت المؤسسة الدينية والمدارس الدينية في مدينة النجف الشيعية المقدسة مركزا دينيا وثقافيا مستقلا نسبيا تمتد

قوته الاشعاعية الى ما وراء حدود العراق وكن عدد رجال الدين الشيعيين وكذا نفوذهم اقل جوهريا بالمقارنة بآيران . وتحتل اهم واكبر مدرسة في النجف بالنسبة للشيعية نفس المرتبة تقريبا التي تحتلها جامعة الازهر بلقاهرة بالنسبة للسنيين . وكان بين الالفى الطالب الذين كانت تضمهم تلك المدرسة الشيعية في عام ١٩٥٧ حوالى ٨٩٦ من آيران ، و ٢٢٦ فقط من العراق ، ٤٢٤ من باكستان ، ٢٧٠ من التبت ، ٤٧ من لبنان و ٢٠ من البحرين والسعودية . النفيسى سنة ١٩٧٢ ص ٥٠) ويتعرض هذا المركز الدينى والثقافى دائما لضغوط من جانب الحكومة العراقية فقيد النفوذ السياسى لرجال المذهب الشيعى ، وانخفضت قدرتهم المالية . لتخفيض عوائد الاوقاف (باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٢) . وبعد انتصار الثورة الاسلامية فى ايران وما تلا ذلك من موجة استفزازية ضد الشيعية فى العراق خلال عامى ١٩٨٠/٧٩ تخلت النجف عن دورها كمركز دينى وثقافى لتضطلع به ايران .

كن الشيعية دائما جزءا من قاعدة الجماعات المعارضة فى العراق . وفى عام ١٩٥٩ تأسست اول منظمة شيعية دينية . وكان تأسيس حزب الدعوة ردا على الموجة الشيوعية فى العراق ولكنه لم يتورط فى اى صدام جاد مع نظام الحكم (انظر النشرة العدد ١٢١ سنة ١٩٨٤ ص ٢١ ، انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) .

ولم يؤثر نفى الخمينى فى الفترة من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٨ فى النجف على الحركة الشيعية وحزب الدعوة . وكان محمد باقر الصدر شخصية شيعية فى السبعينيات بالعراق وتعد كتاباته حول الفلسفة والاقتصاد الاسلامى وحول الشئون المصرفية والنظام السياسى من اهم الدراسات الاكاديمية فى العالم الاسلامى (باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٨) . وتنبأ عديد من المراقبين قيامه بدور مشابه لدور الخمينى بعد عام ١٩٧٩ الا أن اعدامه مع شقيقته فى ١٩ ابريل سنة ١٩٨٠ كان بمثابة قطيعة بين النظام والشيعية التى فقدت شخصيتها القيادية ولم تتحمل هذه الخسارة مما ادى الى ضعف الحركة الشيعية فى العراق .

وشن حزب الدعوة والمجاهدون وحزب امل حريا سرية يائسة فى الاعوام الماضية ضد الحكومة (انظر باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٥) . وادت العمليات القمعية الى نقل قواعد هذا النضال الى ايران ، والى صفوف المنفيين العراقيين . ويعمل مجلس الثورة الاسلامى فى العراق — والذى يضم كل المنظمات الشيعية — من ايران ، ويضم ٥٠٠٠ مقاتل تقريبا يحاربون مع وحدات آيرانية ضد العراق . وقد ادى اعتمادهم على ايران وانفصالهم عن باقى العناصر المعارضة من تقليل فرصتهم فى أن يكونوا به بديلا للنظام العراقى الحاكم ويعتبر من قبل التصورات الخاطئة اعتماد الشيعية العراقيين فقط على التيارات السياسية الواردة باعلاه والمرتبطة بآيران واكثر الشيعية العراقيين من انصار

آية الله الشيوى (١) وبدراسة كلتا المجموعتين الواردتين بحالته لا يمكن وبشكل تلقائى استنتاج انحياز الشيعة والاكراد لايران . فمن الواجب مراعاة النواحي التالية : —

(ا) تعد مسألة (الهوية) العراقية موضوعا معقدا فالشيعية والاكراد ليسوا مندمجين بشكل كامل فى الدولة وهناك انتماءات اخرى تمنع عملية الاندماج التى بدأت فى الستين علما الماضية وحقت نجاحا ضميا . ان كانت ضعيفة ومتناقضة من الناحية الظاهرية الا انه يمكن الحديث عن وجود (هوية) عراقية حتى بين صفوف الاكراد والشيعية . وهذا يفسر كيف استقطعت الحكومة العراقية تعبئة قطاع وان كان صغيرا — من هذه الجماعات ضد الغزو الايرانى (باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٨) .

(ب) يعيش كل من الاكراد والشيعية فى المناطق الهامشية من العراق مما يقلل من اهمية مقاومتهم وقوتهم الضاربة بشكل ملحوظ . وتبدو عملية المركزية على الاصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية بالعراق اكثر وضوحا منها فى ايران وينطبق نفس الشيء بالنسبة للاعتماد على عائدات البترول .

(ج) يستوطن اكراد سنييون — هم اقل استعدادا للتعاون مع ايران بسبب اتجاها معتدلا لا يؤدى الى « تأسيس » المؤسسة الشيعية فى العراق الاسباب الواردة بعاليه — أو العرب السنييون ، مناطق النفوذ والتاثير المحتملة لايران . ويتركز السكان الشيعية بشكل رئيسى فى العاصمة بغداد والجنوب الغربى للبلاد .

(د) مع تنامي اهمية العاصمة بغداد ، التى يقطنها اليوم حوالى ربع عدد سكان العراق ظهر عامل هام وجديد ، وهو تركز الشيعية من سكان بغداد فى المناطق الفقيرة مثل الثورة والحرية والشعلة وذلك بسبب التغير الاقتصادى والاجتماعى الجذرى وبسبب انهيار الزراعة . ويعيش حوالى نصف سكان بغداد فى هذه المناطق الهامشية ، وفى حى الثورة وحدها يعيش اكثر من مليون شخص يواجهون ظروفنا اقتصادية واجتماعية رمزية ويواجهون ظروفنا سكنية سيئة (باتاتو سنة ١٩٨٢ ص ٤) . آتجتاح هذه الاحياء (التى كانت دائما قاعدة للقوى المعارضة ، خاصة الشيوعيين) موجة دينية . ومن الممكن تحت ظروف معينة ان تفجر فى هذا الوضع انتفاضات الخبز

كما حدث فى انتفاضة العشش بطهران فى بداية الثورة الايرانية او الانتفاضات التى حدثت فى كل من المغرب وتونس . وتعتمد هذه الاحداث اولا وقبل كل شىء على سوء الاحوال الاجتماعية وليس ارتباط كبير بحرب الخليج التى زادت من جانبها من حدة الازمة الاجتماعية .

(١) يعد آية الله أبو القاسم الشيوى أقدم فقيه شيعى من أصل ايرانى ، ويعيش فى النجف بالعراق ويواصل هؤلاء التقليد السلبى للشيعية ولا يشاركون فى الصراعات السياسية .

(هـ) ان الهيكل السياسي للمجتمع العراقي معقد او لا يقدم بديلا معقولا لنظام الحكم الحالي ولا تتركز السلطة السياسية في ايدي الاقلية السنية فقط ، بل هي ايضا في ايدي افراد من مدن وعائلات معينة . وكانت القاعدة التقليدية للقومية العربية في العراق مركزة في مدن الموصل ورمادي واحياء سنية معينة في بغداد ومدن صغيرة مثل تكريت « واناوروا » والسامراء التي كانت تستأثر تاريخيا بتقديم الجانب الاكبر من موظفي جهاز الدولة العراقية (انظر باناتو سنة ١٩٧٨ ص ١٢١٦ - ١٢٢٠) .

وفقدت الموصل ورمادي منذ سنة ١٩٦٨ اهميتهما ، بينما كلفنا تحتسلان ندرا هما في عهد انصارين خلال الفترة من سنة ١٩٦٤ الى سنة ١٩٦٨ - السلطة السياسية والوظائف المدنية والعسكرية . وينحدر اليوم كبار الموظفين أو أغلبهم من هذه المدن الصغيرة الواردة بعاليه . وتعود الخلافات بين الجماعات المختلفة داخل نظام الحكم الى اصل اعضائها في أغلب الاحوال ، ففي عام سنة ١٩٧٩ اقصى المنتقمون الى السامراء عن السلطة السياسية .

وتعاني المعارضة وكذا كل الكيان السياسي للعراق من هذه الاشكالية . ولا يوجد جماعة سياسية تتمتع بقاعدة ضخمة باستثناء الحزب الشيوعي ، وهو حزب صغير نسبيا ويتواجد انصاره في كل المناطق وبين كل طبقات الشعب ، ويتواجد انصار التيار الناصري والحزب الملتزم بالناصرية بين العرب السنيين وخاصة في المدن الواردة بعاليه ، وهم حاملو لواء القومية العربية وتحصر الاحزاب الكردية نطاق تأثيرها ، بسبب طابعها القومي على المناطق الكردية . ويسرى نفس الشيء على المنظمات التركمانية والاشورية .

اما الحزب الاسلامي فهو مقيد محليا ومذهبيا والتنظيمات الاسلامية التقليدية مثل حزب التحرير والفرع العراقي للاخوان المسلمين بضمن السنيين والعرب فقط .

ولا تضم المعارضة الشيعية الواردة بعاليه ايا من اهل السنة او الاكراد ، وتقتصر على مناطق معينة . وتوجد قاعدة حزب الدعوة في النجف على وجه الخصوص ويغلب عليه الطابع العربي . اما قاعدة حركة اهل فتنركز في كربلاء حيث توجد عناصر عديدة من اصل ايراني .

ويتأثر هذا التركيب المعقد بظروف المنطقة بحيث يساعد على التدخل من جانب ايران والاتحاد السوفيتي أو من دول اخرى . واستطاعت الحكومة العراقية استغلال هذا الوضع لصالحها على الرغم من التناقضات الداخلية ويعرقل عدم وجود قاعدة مشتركة لكل الاحزاب والمنظمات وجود بديل سلسلي للحكومة الحالية . ويستنتج من ذلك ان انهيار العراق سيؤدي اما الى صراعات بين العديد من مراكز القوى مع حدوث تورط وتأثير اقليمي ودولي أو قد يؤدي الى لبنة العراق .

٤/٦ بعض الاستنتاجات

ولا تعد العوامل التي تم تناولها بعاليه مسئولة عن عمليات عدم التكامل والاضطراب وهي ليست ظاهرة مميزة فقط بالنسبة للعراق وايران بل هي ملحوظة في باقي دول المنطقة وهكذا نجد ان الاهمية المتزايدة للطائفة الشيعية التي توجد في لبنان والتي تدعمها ايران تعتبر احد عناصر التناقضات الاقليمية الملموسة بشكل جزئي في الحرب العراقية الايرانية ويجب النظر الى اضطهاد السكان الشيعة في دول الخليج في ضوء انتشار هذه الاشكالية الاقليمية . ففي البحرين يشكل الشيعة اقلية السكان اما في السعودية والامارات العربية المتحدة فيشكلون اقلية كبيرة . وكما هو الحال في العراق نجد ان مشاركتهم في السلطة السياسية محدودة كما يوجد اهمال اقتصادي واهمال في البنية للمناطق التي يسكنها الشيعة ومن الضروري مراعاة هذا الجانب ومراعاة قوة التأثير الايراني على دول الخليج في اطار الصراعات الاقليمية .

ومن الممكن للطوائف الشيعية في هذه الدول ان تكون عاملا مؤثرا في أي تحول سياسي بعيدا عن ايران .

(ب) تعد حركتا الوحدة العربية والوحدة الاسلامية تيارات سياسية ذات طابع وحدوي يتجاوز الاقليمية واهدافها قابلة للتحقيق في ظل الوضع الحالي . ولكن الانشطة بتنظيماتها تعمل على نشر الفرقة وعدم الاستقرار وقد تؤدي وتفيد عملية الفرقة في اعادة تشكيل جديدة ولكن احتمالات حدوث مثل هذه العملية ليست قريبة .

ويبدو ان دول الخليج هي المستثناء من عملية الفرقة وعدم الاستقرار هذه ، منذ دفع الخوف من اطماع السيطرة الاقليمية لكلتا الدولتين المتورطتين في حرب الخليج - الحكام الى ايجاد تعاون ثنائي سياسي وثق . وهذا التعاون احد نتائج الحرب العراقية الايرانية التي تفر من المكونات غير المتجانسة وغير المتوافقة الموجودة بعمق هذه الدول .

(د) وتستفيد الدول الكبرى من الحرب ومن الصراعات والخلافات الاقليمية ، وهي ليست قادرة على حل هذا الصراع وليس لها مصلحة في تسويبه وتهدف هذه الدول الى ايجاد توازن بين طرفي الصراع وعلى الحد من امتداد هذه الحرب اقليميا . ويمنع وضعها الاحتكاري للتسلح المتقدم من تصعيد الحرب وبدرجة معينة .

وهيات الحرب عاملين اساسيين لاعتماد المنطقة على الدولتين العظميين وتسلطهما فيها : انعدام الامن والاستقرار . وهناك سبب ثالث للتسلط

والتي تدخل يبدو انه سيسرى على العراق في المستقبل ويتمثل في عجز الدولة عن تسديد الديون واعلان افلاسها وذلك يعني تحولا جديدا في العلاقة مع الدولتين العظميين واختيار جديد للنظام السياسي الدولي .

(هـ) لا تلوح في الافق نهاية لهذه الحرب ، وسيترتب على ذلك ان يواجه العراق حرب الاستنزاف على المستوى الاقتصادي . وبفضل خطوط البترول الحديثة والتي بدأ العمل لها يبدو ان العراق بمنأى عن هذا الخطر حتى وان كانت عوامل اخرى تؤثر على هذا التطور . وعلى الرغم من استطاعة العراق إعادة ما يستخرجه من بترول وما يصدره من بترول الى معدلات ما قبل الحرب تحد أنه من غير المؤكد أن ينجح في عرض ٣ ملايين برميل يوميا في السوق البترولية المتشعبة (لتحقيق المكاسب المأمولة) تلك السوق التي انهلت واقعيها بانهيار الاوبك الذي تم بسبب مستهلكي البترول مما أدى بالتالي الى انهيار الاسعار .

واذا ما ظل النظامان الحاكمين بالعراق وايران في مكانهما دون تغيير فمن المستحيل حدوث نهاية لهذه الحرب في صورة اتفاق سلام ملزم لكلا الطرفين كما حدث اتفاقية عام ١٩٧٥ . وحتى اذا ما أدت الطاقات العسكرية المحدودة او حرب المواقع الثابتة المتأثرة بالعوامل الاقليمية والدولية الى نصر شامل أو غزو كبير (وان كان ذلك أمرا غير مستبعد) فان هذا الصراع المزمع سيتحول الى حرب استنزاف .

وتعد زيادة الصراعات والاتجاهات الانقسامية الجديدة لجماعات محلية ومذهبية صغيرة تعد عملية سلبية في هذه المنطقة وتحمل في طياتها خطر « لمننة » بعض الدول وتمثل نتائج ذلك في تزايد الاتفاق على التسليح والجنش وعسكرة المجتمعات والتعويق المكثف للتنمية .

ومن الممكن التغلب على المشاكل الرئيسية لهذه الدول مثل التنمية الاقتصادية والديمقراطية ومشاكل التمويل وكذلك العلاقة العادلة بين الشمال والجنوب في اطار وحدات اقليمية اكبر او تعاون سلمي بين الدول على أساس تنظيمات اقليمية مثل الاوبك والحامسة العربية ومنظمة الدول الاسلامية . والكيانات غير الديمقراطية وغير العادلة الحاكمة لهذه الدول تجعل انتشار الاتجاهات الفرقة وعد الاستقرار أمرا لا يمكن تجنبه .

وفي هذا الاطار تلعب الحرب العراقية الايرانية دورا مدمرا ، فهناك جماعات معينة في كلتا الدولتين وكذا جماعات اقليمية . والدول العظمى وتجارة الاسلحة الدولية تستفيد من هذه الحرب التي لم تؤد فقط الى حدوث تغييرات تركيبيات السلطة بل أدت أيضا الى بروز وارتقاء تنظيمات ومراكز قوى اصغر .

اهم موردی الاسلحة لايران :

قبل الحرب	اثناء الحرب	مساعدات اخرى
الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتي ، فرنسا وايطاليا ، الصين ، فرنسا ، ايطاليا بريطانيا ، اسرائيل ، سوريا بريطانيا .	الاتحاد السوفيتي ، الاتحاد السوفيتي ، المانيا الديمقراطية ، اليمن الجنوبي ، كوريا	الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتي ، اليونان ،
سويسرا ، اسرائيل ، الشمالية ، كوريا الجنوبية ، سوريا ، كوريا الشمالية ، تايوان ، فيتنام ، الجزائر	كوريا الجنوبية ، الجزائر ، ليبيا ، الأرجنتين .	الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتي ، اليونان ،
ليبيا ، الأرجنتين ، البرازيل .		

اهم موردی الاسلحة للعراق :

قبل الحرب	اثناء الحرب	مساعدات اخرى
الاتحاد السوفيتي ، فرنسا ، البرازيل .	الولايات المتحدة ، الصين ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، اسبانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، المانيا	الاتحاد السوفيتي ، بلجيكا ،
فرنسا ، البرازيل .	الصين ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، اسبانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، المانيا	فرنسا ، المانيا الاتحادية ،
الولايات المتحدة ، الصين ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، اسبانيا ، تشيكوسلوفاكيا ، المانيا الديمقراطية ، المانيا	الاتحاد السوفيتي ، بلجيكا ،	الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتي ، اليونان ،
الاتحاد السوفيتي ، بلجيكا ،	الولايات المتحدة ، الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتي ، اليونان ،	الاتحاد السوفيتي ، بلجيكا ،

كتاب مصدري السلاح للعالم الثالث في الفترة من ١٩٧٠ حتى ١٩٧٩

النسبة المئوية لكل المستعقات	النسبة المئوية لاجمالي المصادرات للعالم الثالث	المورد
٢٥	٢١	اسرائيل
٢٩	٢١	انيزاريسل
٢٥	٢١	ايران
٢١	٩	الاردن
٧٥	٩	جنوب افريقيا
١١	٩	ليبيا
٩٠	٩	دول اخرى
٧٨	٩	
٧٠	٩	
٧٤	٩	

المصدر : الكتاب السنوي لجمعية SIPRI في سنة ١٩٨٢ ، ص ١١٦ .

الفهرس

صفحة	المقدمة
٣	١ - ورثة التاريخ
٨	١ - ١ الصراع العثماني الفارسي والعراق
١٣	١ - ٢ تاريخ مشكلات الحدود
١٥	١ - ٢ حروب ومعاهدات
١٦	١ - ٤ الصراع العراقي الايراني بعد الحرب العالمية الاولى
١٩	١ - ٥ اتفاقية الجزائر
٢٢	١ - ٦ هل هو ارث التاريخ ؟
٢٣	٢ - الأبعاد الاقليمية والايديولوجية للصراع
٢٤	٢ - ١ تاريخ الصراعات الاقليمية
٢٤	٢ - ٢ تحالفات اقليمية جديدة ومواجهات جديدة
٢٧	٢ - ٣ الوحدة العربية
٢٩	٢ - ٤ الوحدة الاسلامية والنهضة الاسلامية
٣٢	٢ - ٥ الدول العظمى والدول في المنطقة :
٣٨	الاستقلال وسياسة التحالف وعدم الاستقطاب
٣٨	٣ - السياسة الخارجية لجمهورية ايران الاسلامية
٤٢	٣ - ١ اسس السياسة الخارجية
٤٥	٣ - ٢ التحول الاسلامي في السياسة الخارجية
٤٧	٣ - ٣ تيارات متنافسة ومفاهيم مختلفة في السياسة الخارجية
٤٨	٣ - ٤ تقلبات في السياسة الخارجية الايرانية
٥٢	٣ - ٥ العلاقات مع الدول العربية خاصة دول الخليج
٥٩	٤ - اندلاع الحرب ومسارها
٦٢	

٦٩	٤-١	الغزو وحرب المواقع الثابتة (سبتمبر - مارس ١٩٨٠)
٧٤	٤-٢	الغزو المضاد (مارس ١٩٨١ - مارس ١٩٨٤)
٨٠	٤-٣	حرب الاستنزاف وحرب المواقع الثابتة (مارس ١٩٨٤)
٨١	٥-	مدخلات الحرب وتأثيراتها
٨٢	٥-١	تأثيرها على ايران
٨٤	٥-٢	تأثيرها على العراق
٨٧	٥-٣	المؤثرات على دول الخليج والمنطقة
٩٠	٥-٤	الدول الكبرى والحرب العراقية الايرانية
٩٤	٥-٥	النتائج بالنسبة للعلاقات مع دول اخرى
٩٥	٦-	الحرب والتركيب (الفسيفسائي) : هل هي قضية تفكك او اعادة بناء بالنسبة للبعد العرقي والديني للحرب
٩٥	٦-١	الاشكالية
٩٨	٦-٢	العلاقة بين المركز والهامش في ايران
١٠٢	٦-٣	الشيعة والاكرد في العراق الحديث
١١١		وثائق وجداول وخرائط

مراجعة مطبعية : على كامل دسوقي



١٩٩١

مطابع الهيئة العامة للإستعلامات